منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2339) السنة التاسعة - الاربعاء (21) كانون الاول 2011

ايزابيل الليندي

ايزابيل اللندي:
احتفظ بتاريخ بلادي في كتبي

بلدي تشيلي، بلد مثالي، وربما شهد حالة من الجمود خلال السبعينيات من القرن الماضي؛ انه البلد القديم الذي ترعرعت فيه. وبالرغم من ان ولادتي كانت في بيرو الا ان والدي كانا دبلوماسيين تشيليين (لان أطفال الدبلوماسيين يحملون دائما جنسية آبائهم)، وعدنا الى تشيلي خلال فترة طفولتي لنعيش في بيت جدي بسانتياغو. ولقد اثر في حقا ذلك البيت المميز. فجميع ذكرياتي متجذرة هناك. اعتقد باني خلقت بلدا طوباويا في ذهني، وهي الصورة التي تراها في أشعار بابلو نيرودا. عدت مؤخرا الى شيلي لعمل فلم. انه بلد مختلف الآن، خصوصا سانتياغو. اذا ما سافرت خارج المدينة، فانك ما زلت قادرا على العثور على بعض من حسن الضيافة الشيلية القديمة واللطف الذي ما زال عالقا في ذهني.

ترجمة: فاروق السعد

ولكن سانتياغو قد نمت لتصبح مدينة عملاقة بستة ملايين نسمة؛ الجميع في عجلة من أمرهم طوال الوقت، وهنالك مشاكل رهيبة في حركة المرور والضباب والدخان. فأثناء تصوير الفلم، أخذنا سكة حديد معلقة فوق تل سان كريستوبل. ولحسن الحظ، كان يوما مشمسا جميلا ولم يكن هنالك دخان وضباب، لذلك تمكنا من الحصول على مشهد رائع للمدينة. شاهدنا المدينة بأكملها. ومع ذلك، فمن أوجه عدة، اعتقد بان البلد قد تغير نحو الأفضل. على سبيل المثال، لدينا الآن طريق ممتاز، خطوط جوية كبرى وقطارات تسير في الوقت المحدد؛ انه مكان حي جدا. ربما تسرق منك سلسلة ذهبية، ولكن بصورة عامة لا يوجد هنالك الا القليل من العنف. انه مكان آمن، رائع بالنسبة الى الأوربيين ليقوموا بزيارة له. خلال عشرة اعوام، تمكنت شيلي من خفض الفقر من ٣٩٪ الى ١٨٪. وهذا أمر مدهش. انه بلد مزدهر جدا، ومع هذا ما زالت هنالك فجوة بين الأغنياء وبقية البلاد، وهو ما أراه مرعبا. هنالك مجموعة صغيرة من أصحاب الملليارات الذين يسيطرون على الاقتصاد ممن يعيشون على تلال سانتياغو في مجتمعات مسيجة، إنهم يعيشون في عالم آخر. لقد كانت البلاد اكثر فقرا ببعيد عندما كنت اعيش هناك. والآن، في الأقل، انك لا ترى كل أكواخ المدن التي كانت تحيط بها. مع إني ازور تشيلي ثلاث او أربع مرات في السنة، فبيتي يقع في مقاطعة مارين، الى الشمال من سان فرانسيسكو. كنت غالبا ما أقول باني لست مناسبة لأي مكان ولكني أحس تقريبا باني في بيتي في كاليفورنيا. وعندما أعود الى شيلي ينتابني شعور عجيب اول الأمر لأني أتمكن من التحدث بلهجة بلدي الأصلية؛ الحصول على الدعابة وجميع الجفرات الصغيرة التي لا تفهمها بحق الا في المكان الذي ترعرعت فيه. إني أحب ذلك كله. وبعد أسبوعين، أحس بالحاجة الى الخروج. ليس هنالك من خصوصية لان الناس يتمكنون من تشخيصي في الشارع ، وبذلك لا تتمكن من العمل في جو كهذا . من الممتع ان يبدو التشيليون كأناس لينين، ولكن في أي وقت يمكن ان يشعل العنف الرهيب المتجذر في تاريخنا. لقد انحدرنا من مابوشة، وهي واحدة من أشجع القبائل في امريكا اللاتينية. وقد جنحوا للسلم في بدايات القرن الثامن عشر ولكنهم لم يستسلموا أبدا واعتقد بان ذلك قد شكل روح الأمة. سافرت الى كافة أنحاء البلاد. وان شيلي مكان عظيم يستحق الإطلاع عليه ولكنه بعيد عن اوربا، لذلك فستحتاج الى أسبوعين في الأقل. ليس هنالك ما يثير الاهتمام في سانتياغو، ولكن على بعد ساعة ونصف هنالك المدينة الساحلية ايزلا نيكرا، حيث بامكانك زيارة البيت السابق لنيرودا ، وهو الآن عبارة عن متحف. فقد كان هاويا لجمع كل أنواع الخردوات. في أيامه كنت سأسميها خردوات ولكنه الآن مبت، فهي " مجموعة مقتنيات". ان لشعره تأثيرا عظيما على شيلي. يذهب الناس الى هنالك للتعبير عن إجلالهم له وحتى ان البعض يقف هناك ليتلو أشعاره عن ظهر قلب. ولكني لو كنت ازور تشيلي للمرة الاولى، لذهبت الى الجنوب، الى البحيرات، الغابة، البراكين وجزيرة شيلوة، والتي هي في الحقيقة عبارة عن أرخبيل. وان كان لدي اكثر من أسبوعين، فساضيف شمال باتاغونيا، وخصوصا الحديقة الوطنية، توريس ديل باين، المحاطة بأجمل الجبال. الطيران الى مدينة بونتا اريناس، ومن هناك، السياقة لمدة ست او سبع ساعات الى باتاكونيا الى ان تصل المتنزه السياحي الذائع الصيت وفندق توريس ديل باين. تحتاج الى البقاء ما لا يقل عن خمسة أيام لأنه يوجد هنالك الكثير مما يستحق المشاهدة: انهار جليدية، جبال. انها أجمل مناظر طبيعية في العالم. يقول ابني بان افضل مكان في شيلي هو الصحراء الى الشمال وما حول سان بدرو دي اتاكاما؛ إني اتفق معه بان الصحراء خيالية، ولكني لا اعتقد بانها ساحرة كالجنوب. يأتي العديد من الناس الى شيلي خلال فترة الصيف في اوروبا او الولايات المتحدة، لان عندنا يكون شتاء وبامكاننا ان نقدم رياضات شتوية عظيمة. كما هنالك ايضا إمكانية لصيد السمك. وفي الصيف، توجد هنالك مدن ساحلية رائعة ذات شواطئ جميلة، ولكن الماء بارد حقا. وفي الجنوب لا توجد شواطئ حقيقية ولكن بامكانك الذهاب الى البحيرات، التي هي جميلة. ومن المدهش ان تشاهد منظر البراكين المنعكسة على الماء. لقد نشأت في منطقة من سانتياغو تدعى بروفيدنثيا، حيث لا يزال والداي يعيشان. كانت اسعد أيام حياتي قد أمضيتها عندما كنت أعيش هناك، عندما كنت اعمل كصحفية في مجلة تسمى باولا. كنت شابة وما زالت تربطني علاقة حب مع زوجي الاول، وكان لدينا طفلان. عشنا في بيت صغير. لم يكن لدينا نقود، ولكن في ذلك الوقت، كان البلد في حالة تحول. فقد كانت السنوات الثلاث التي كان فيها خالي سلفادور الندي وحكومته في السلطة ممتعة جدا. كانت في بداية السبعينيات، التي شهدت ثورة جنسية، موسيقى عظيمة، الهيبيز..... بقيت في تشيلي لمدة عام تقريبا بعد الانقلاب العسكري في ١٩٧٣، وبالرغم من ان المغادرة كانت محزنة جدا، لم يكن لدي من خيار آخر. فلم يكن بمقدوري العيش في ظل نظام بينوشيت. لذلك ذهبت الى فنزويلا في ما اعتقدته سيكون بقاء مؤقتا- حيث لم افرغ حقائبي تماما- ولكن الحال انتهى بي لأعيش هنا ١٣ عاماً. وخلال تلك الفترة، كنت دائما انظر الى الجنوب وأمل في العودة الى تشيلي حال قيام الديمقراطية هناك مرة أخرى. ولكن في تلك الفترة، التقيت بزوجي الثاني، وليم، وكان يعيش في الولايات المتحدة، إني لا أفكر في ما ستكون عليه حياتي لو أني بقيت في تشيلي- فليس بامكانك التفكير على هذه الشاكلة. ماذا لو بقيت في فنزويلا؟ يبدو بانه من الطبيعي ان احتفظ بتاريخ بلدي شيلي حيا في كتبي. لم اقل دائما اني سأكتب عن هذا او ذلك. ولكني كنت اجلس في ٨ يناير من كل عام ويأتي شيء ما إلي. بدأت روايتي الاولى، " بيت الأشباح" كرسالة الى جدي المحتضر. وبدا كتابي "باولا" كرسالة الى ابنتي، التي سقطت في غيبوبة. كما إني كتبت في التو مذكرات تستند الى رسائل تبادلتها مع والدتي خلال سنوات عدة.

لقد انحدرنا من مابوشة، وهي واحدة من أشجع القبائل في امريكا اللاتينية. وقد جنحوا للسلم في بدايات القرن الثامن عشر ولكنهم لم يستسلموا أبدا واعتقد بان ذلك قد شكل روح الأمة. سافرت الى كافة أنحاء البلاد. وان شيلي مكان عظيم يستحق الإطلاع عليه ولكنه بعيد عن اوربا، لذلك فستحتاج الى أسبوعين في الأقل.

الليندي والمسرح

ترجمة: نادية فارس

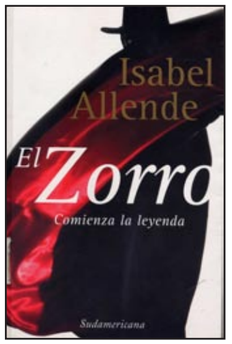

عاشق مقنع ومدافع عن العدالة علاقة حب، مبارزات بالسيف، اسرار غامضة وشخصيات مستترة كل هذه الامور تبدو واضحة في رواية زورو التي تتحدث عن شخص يتحول الى بطل اسطوري. هذه الرواية تحولت الى مسرحية موسيقية بدأ التحضير لها منذ اربعة اعوام وقامت بكتابتها الروائية الشهيرة ايزابيل الليندي وتقول الليندي "قبل اعوام طرق بابي مسؤولون عن انتاج زورو حاملين معهم صناديق محملة بكتب وافلام (فيديو) تدور حول زورو وطلبوا مني تحويلها الى مسرحية غنائية لقد اثار الامر دهشتي، وقلت لهم اني كاتبة حادة ولكنهم قالوا انهم يريدون لهذه الشخصية ان تجمع كل الصفات التي التصقت بها عبر افلام ومسلسلات تلفازية وحكايات اخرى تعود الى مؤلفه الاصلي جونستون ماككولي.

وبدأ رأس ايزابيل الليندي في الدوران اجل ان زورو يستحق ان يكتب عنه رواية اصلية فهو عاش في مرحلة زمنية رائعة، في اوائل عام ١٨٠٠ حيث العلاقة بين الارستقراطية الاسبانية والسكان الاصليين لاميركا.

ان المؤلف الاصلي للقصة لم يقل لنا سبب اهتمام هذا البطل الذي يدعى دييغو دي لافيغا بالظلم والانحياز للدفاع عن الهنود والفقراء خاصة انه كان ينتمي الى عائلة غنية، ولد في كاليفورنيا من اب اسباني

لقد ادركت ايزابيل الليندي ان المسرحية الغنائية ستكون ناجحة فكل واحد منا يعشق شخصية زورو خاصة انها بدأت اولا بالكتابة للمسرح في شيلي، ثم تركته.

كان عام ١٩٧٣ حاسماً بالنسبة لهذه الرواية عند قتل خالها الرئيس سلفادور الليندي اثر انقلاب غادرت شيلي وبدأت في الكتاب متخيلة عن الصحافة من اجل ان تخلق عالماً خاصاً بها.

لايزابيل الليندي تجربة مماثلة في الكتابة عن الاسبان في اميركا اللاتينية وكتبت رواية "ابن الحظ" من كاليفورنيا ولها كما تقول تجربة في ابطال لها طابع المغامرة والاثارة.

وكانت الليندي في خلال الاعوام الماضية تقرأ كل ما كتب عن زورو وما انتج من افلام عنه فهو البطل المثالي في اميركا اللاتينية، انه مزيج من روبن هود وبيتر بان وهي تعد انطونيو بانديراس افضل من هذه الشخصية ووضعت صورته في ارجاء غرفتها الخاصة مستوحية منها.

وفي الوقت الحاضر تتهيأ ايزابيل الليندي لرؤية المسرحية بعد ايام بعد ان انتهت من كتابتها ان تتجسد الشخوص ان تسمع الموسيقى والاغنيات المرافقة لها والرقصات ايضاً والازياء.

ملاحظات عن زورو

× اول مرة طبعت فيها قصة زورو، في عام ١٩١٩ من قبل جونستون ماككولي

× أول فيلم صامت ظهر عام ١٩٢٠ باسم "علامة زورو" بطولة دوغلاس فيربانكس

× وفي عام ١٩٤٤، ادت ليندا ستيرلينغ دور ابنة زورو في "السوط الاسود"

× ظهر اول مسلسل عن زورو عام ١٩٥٧

× ظهر اول كارتون عن زورو في اليابان عام ١٩٩٦.

× اول مسلسل كارتون عن زورو في اميركا من انتاج شركة وارنر عام ١٩٩٧

× فيلم جديد بعنوان "قناع زورو" بطولة انطونيو بانديراس ١٩٩٨

× جزء ثان من الفيلم السابق ظهر في ٢٠٠٥

عن التايمز

ايزابيل الليندي: سأظل غريبة على الدوام

ترجمة/ عباس المفرجي

ابنة أخ رئيس تشيلي الأسبق توقع رواياتها المهداة الى إنيس سواريث، أول امرأة رئيس جمهورية في أمريكا الجنوبية.

× ما الذي أثار إهتمامك في هذه الإسبانية التي أبحرت، عام ١٥٣٧، الى العالم الجديد وشاركت في إكتشاف تشيلي؟ ايزابيل الليندي – كتبت عن إمرأة تركت مسقط رأسها وتحدت الأعراف الإجتماعية. كانت مليئة بالحماسة، تتملكها روح المغامرة، ومفهوم إنتوي عن الحياة، رغم ان فكرة تحرر المرأة لم تكن موجودة في ذلك العصر. طالما أحسست بأني شديدة القرب من هذه المرأة،

لكني لم أكن أعرف بأنها ستكون ذات يوم موضوعا لكتاب لي. عندما قرأت عنها قلت لنفسي : " انا أتعاطف مع هذه المرأة."

× تتبعين دائما عددا من الطقوس المعينة قبل كتابة أي كتاب...

– أبدأ كل كتبي بتاريخ اليوم الثامن من كانون الثاني. لا يتعلق الأمر بالفأل فقط، بل بدافع الإنتظام أيضا. حياتي جد معقدة، إذ علي إعطاء الكثير من المقابلات الصحفية طوال الوقت.

كما يتوجب علي القيام برحلات للدعاية لرواياتي التي تُرجمت لأكثر من ثلاثين لغة. لدي مشاغل كثيرة تبعدني عن الكتابة، وإذا لم أقرر أن أبدأ العمل بتاريخ معين، لن يتاح لي الكتابة أبدا. في السابع من كانون الثاني أغربل القطعة التي سأشتغل عليها، وأستبعد كل ما ليس له علاقة بكتابي القادم، ثم أضع أمامي خرائطي وكتب التاريخ والوثائق. وأمامي على الجدار الورق اللاصق المدوّنة عليه ملاحظاتي، مثل هذه الملاحظة على سبيل المثال : " في عهد الهجوم على الذهب، كان ثمن كوب من الحليب أغلى بكثير من كأس الشمبانيا ". في يوم الثامن من كانون الثاني أقوم بأحراق قُوَيسة. وأنقّي القطعة التي كتبتها من كل تأثيرات كتابي السابق، ثم أضئ شمعة، وأجلس على مكتبي وأبدأ بكتابة عبارة لم أفكر بها سابقا. وهذه هي التي ستضفي على الكتاب نغمتها.

×كان زوجك محاميا أمريكيا. ما الذي يتوجب عليه عندما تبدأين بكتابة رواية؟

– منذ تقاعده عن العمل، أصبح هو الآخر كاتبا، وهو عون كبير لي، إذ يهيئ لي المكان والجو للعمل. كما يكرّس وقته لمتابعة العقود من الناحية القانونية، وهي رهيبة في الولايات المتحدة. عندما أبدأ بالكتابة، يحمل لي قهوتي، وفي المساء يعّد العشاء. ويحرص على أن لا يزعجني أحد في البيت. وهو رفيق دائم لي في رحلات العمل التي أقوم بها. من دونه لا أعرف ان كنت سأقدر على الكتابة.

×حين تنهين مخطوط روايتك، من هم أول من تطلعينهم عليه؟

– ابعثه الى وكيلي في إسبانيا، والى امي في تشيلي، وأطلع زوجي عليه، لكنه في الوقت الذي يكون فيه قد إنتهى ، سرعان ما يصبح جزءاً من ردود أفعال الناس جميعا. أمي، والتي هي قارئة نهمة، تشكل عونا كبيرا لي في آرائها. إذ تقول لي ، على سبيل المثال: " هذا المقطع يمكن أن يُكتب بشكل أفضل " أو " لدي إنطباع بأنك قلت هذه الفقرة سابقا في مكان ما ". أنا أثق كثيرا بأحكامها.

× هل ما زلت تواصلين الكتابة اليها؟

– نعم، وأنا أتصل بها هاتفيا خمس مرّات في الإسبوع، لا يعّد يومي مكتملا ما لم أبعث اليها برسالة. انها تحتفظ بكل رسائلي، وفي نهاية العام تعيدها الي، لأنها لا تريد أن تقع رسائلي بيد الآخرين بعد موتها. وهي تكتب لي بالمقابل. وأحتفظ أنا أيضا برسائلها، ولو رحلت قبلي سأقوم بقراءتها يوميا حتى نهاية حياتي.

× لقد قلت يوما : " لا أنتمي الى أي مكان أنا فيه، لكن في كاليفورنيا أشعر، تقريبا، أنني في وطني."

– لقد قلت " تقريبا "، لأني لن أصبح أبدا أمريكية، فأنا لا أشبههم، لن أتكلم أو أفكر مثل أي أمريكي. سأظل على الدوام غريبة. كما انني جد ناقمة على سياستهم.

× لماذا لا تفكرين مثل أمريكي؟

– أنا أنحدر من بلد فيه المجتمع أهم بكثير من الفرد، في حين أن الأمريكان فرانيون. وهم يتصورون بانهم مبعوثو العناية الإلهية لإدارة العالم. ليس لديهم أي حس نقدي حول ماضيهم والأعمال الوحشية التي إرتكبوها.

× أي مرشح أمريكي للرئاسة تفضلين؟

– أميل الى أوباما، لأنه يمثل الدماء الجديدة. كما أنه لم يشكّل بعد جزءاً من تركيبة النظام. إلاّ أن هيلاري مهيأة بشكل أفضل منه. إنها إمرأة لا تطمح للسلطة من أجل مصالح خاصة، بل من أجل تغيير الوضع. إنها ذكية، مع ذلك فأنا لا أحبها، لأنها متقلبة. والحال يقتضي الآن أن يكون المرشح واضحاً جدا بشأن مسائل معينة مثل الحرب والبيئة والصحة والهجرة.

http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

إيزابيل الليندي: أتعلم من خلال الكتابة والملاحظة اليومية

ترجمة / عادل العامل

إجرت العادة، في المقابلات الصحفية، أن يقوم أحدهم بالتحدث إلى أديب على ضوء أسئلة معدّة وفقاً لمكانة الأديب وشخصيته وأعماله المعروفة. غير أن الكاتبة التشيلية المتألقة إيزابيل الليندي Isabel Allende وجدت، بحكم ظروفها، أسلوباً آخر لإجراء مقابلة معها، وهو أن تقوم هي نفسها بذلك استناداً إلى الأسئلة الواردة إليها من هنا وهناك، منتقيةً منها ما تجده مفيداً للقارىء ومعبراً عن تجربتها الأدبية.

وهي توضح ذلك بالقول : " لقد تسلمتُ عدداً لا حصر له من الرسائل، من طلبة، وأساتذة، وصحافيين، في ما يتعلق بعملي الأدبي. ومن المستحيل عملياً الإجابة عليها جميعاً. وأأمل أني بهذه الطريقة في اختيار أسئلة والرد عليها هنا سأكون قد حققت شيئاً من الفائدة.

" ونحن هنا نختار بعض تلك الأسئلة وإجابات الكاتبة عليها - المترجم.]

هل لديك أنواع أخر تهتمين بها في استكشافك الأدبي، أم أنك ترين أنك ماضية بالعمل في مجال القصة؟

لقد كتبتُ مسرحيات في شبابي وكنت أحبها ؛ فأنا أحب أن أعمل في فريق. كما أني حاولت كتابة قصص للأطفال حين كان أبنائي صغاراً ؛ وكنت أروي لهم قصصاً في كل ليلة، وكان ذلك تدريباً مدهشاً لي حافظتْ عليه.

وفي عام ٢٠٠١ كتبتُ روايةً للصغار والبالغين الشباب تدعى " مدينة الوحوش. وكتبت الفكاهة لسنين عدة وأظن أن ذلك كان النوع الأصعب على الإطلاق. ولم أحاول كتابة الشعر أبداً ولا أعتقد بأني سأفعل هذا.

هل بإمكانك التوسع في فكرة كتابة الأدب القصصي، قول الحقيقة، الكشف عن نوع ما من الواقع، والكيفية التي يمكن لهذه الفكرة أن تعمل بها سوية أوضد بعضها البعض الأخر؟

أن أول كذبة للقصة هي أن المؤلف يمنح شيئاً من النظام لفوضى الحياة : نظام تأريخي Chronological، أوأي نظام يختاره المؤلف. وككاتب، تنتخب جزءاً من كل ؛ تقرر أن تلك الأمور مهمة والبقية لا. وستكتب عن تلك الأمور من منظورك أنت. والحياة ليست هكذا. فكل شيء يحدث على نحو متزامن، بطريقة فوضوية، وأنت لا تقوم بخيارات. فأنت لست الرئيس ؛ الحياة هي الرئيس.

ولذلك فحين تتقبل ككاتب أن تلك القصة تكذب، فإنك تصبح عندئذ حراً ؛ ويمكنك أن تفعل أي شيء. وبعدها تبدأ بالسير في دوائر. وكلما كانت الدائرة أكبر، كلما استطعتَ الحصول على حقيقة أكثر. وكلما اتسع الأفق أكثر، كلما سرتْ أكثر، وكلما تباطأتَ أكثر، كلما كانت الفرصة لديك أفضل للعثور على جزيئات الحقيقة.

من أين تحصلين على الهامك؟ وكيف يعمل هذا الإلهام؟

إنني مستمعة جيدة وصيادة قصص. فلكل واحد قصة وكل القصص مهمة وممتعة إذا ما رويت بنغمة سليمة. وأنا أقرأ الصحف وغالباً ما يستطيع خبر خفي صغير أن يلهمني كتابة الرواية بكاملها.

فأقضي عشر ساعات أوأكثر كل يوم أكتب لوحدي في غرفة. لا أتحدث إلى أحد، ولا أرد على الهاتف. فأنا مجرد وسيلة أوأداة لشيء ما يحدث ورائي، والأصوات تتكلم من خلالي.

وأنا أخلق عالماً هوخيال لكنه لا يخصني. لستُ الله ؛ أنا فقط أداة. وفي تلك الممارسة اليومية الصبورة الطويلة من الكتابة، اكتشفتُ قدراً من الأمور عن نفسي وعن الحياة. لقد تعلمتُ. وأنا لا أعي ما أكتب. إنها عملية غريبة.

هل يمكنك أن تحدثينا عن الشخصيات؟

عندما أطوِّر شخصيةً، أبحث في العادة عن شخص يمكنه أن ينفع كموديل (نموذج). فإذا ما خطر ذلك الشخص في بالي، أصبح أسهل علي أن أخلق الشخصيات القابلة للتصديق. فالناس مركّبون ومعقدون، ونادراً ما يُظهرون جميع وجوه شخصياتهم، وينبغي لشخصيات القصة أن تكون هكذا أيضاً.

وأنا أدع الشخصيات تعيش حيواتها هي في الكتاب. وغالباً ما يتولد لدي شعور بأني أفقد السيطرة عليها. وتمضي القصة في اتجاهات غير متوقعة وعملي أن أدوِّن ذلك، لا أن أرغمه علي أن يكون وفق فكري المسبقة.

هل تكتبين بالكومبيتر؟

أنا أسجل ملاحظات على الدوام. لدي دفتر في جزداني وعندما أرى أوأسمع شيئاً مهماً، أسجل ملاحظة. كما أنني أقتطع أشياء من الصحف وأخبار التلفزيون. وأكتب القصص التي يخبرني بها الناس. وحين أبدأ كتاباً، أستخرج كل هذه الملاحظات لأنها تلهمني. وأكتب مباشرةً بكومبيوتري من دون مخطط تمهيدي، متّبعةً غريزتي. وعندما تُروى القصة على الشاشة، أطبعها للمرة الأولى وأقرؤها، وعندئذ أعرف ما الذي يدور حوله الكتاب. والمخطوطة الثانية تتعامل مع اللغة، والتوتر، والنغمة والإيقاع.

ما الذي يحقق نهاية جيدة للقصة؟

لستُ أدري. في القصة القصيرة يختلف الأمر عنه في الرواية. فالقصة تأتي كاملةً ؛ وهناك نهاية ملائمة واحدة لها، تشعر بها. فإذا لم تستطع أن تجد تلك النهاية، فليس لديك في هذه الحالة قصة، ولا فائدة في أن تبذل مزيداً من العمل بها. وبالنسبة لي تشبه القصة سهماً ؛ يجب أن يكون لها اتجاه صحيح من البداية وعليك أن تعرف بالضبط إلى أين تهدف. أما في حالة الرواية، فأنت لا تعرف أبداً. إنه عمل يومي وصبور، مثل فرز نسيج من ألوان كثيرة. فأنت تمضي ببطء ؛ ولديك في عقلك نموذج. ولكن فجأة تقلبه فتدرك أنه شيءٌ ما آخر مغاير لذلك.

وإنها لتجربةٌ فاتنة لأن لها حياتها الخاصة بها. في القصة القصيرة تمتلك أنت كل السيطرة على الأمور، وعلى كل حال، فهناك قصص قصيرة جيدة قليلة جداً. وهناك روايات لا تُنسى كثيرة. وفي القصة القصيرة تُعتبَر كيفية سرد لها أكثر أهميةً مما تسرد ؛ فالشكل مهم جدا هنا. أما في الرواية فإنك يمكن أن ترتكب أخطاءً والقليل جداً من الناس سيلاحظ ذلك. والنهايات السعيدة عادةً لا تمشي معي. فأنا أحب النهايات المفتوحة. وإني أثق بمخيلة القرّاء.

أيّ الأمور الكبرى التي تؤثر فيك؟

إنني أنتمي للجيل الأول من الكتّاب الأمريكيين اللاتينيين الذين تربّوا على قراءة كتّاب أمريكيين لاتينيين آخرين. فقبل زمني لم يكن نتاج كتّابنا يوزّع بطريقة حسنة في قارتنا. ولذلك، كان من الصعب جداً، في تشيلي، أن يقرأ الواحد لكتّاب آخرين من أمريكا اللاتينية. فكانت التأثيرات الكبرى علي للكتّاب العظام من موجة الانتعاشة الأمريكية اللاتينية في الأدب. وكذلك الروائيين روس وإنكليز، ولكتب اليافعين التي قرأتها وأنا طفلة. فمن هذه الكتب حصلت على الحس بالحبكة والشخصيات القوية. واكتشفتُ الفنتازيا والإثارة العاطفية في " ألف ليلة وليلة ". وكان للمؤلفات المناصرات للمساواة بين المرأة والرجل اللواتي قرأتُ لهن في أوائل السبعينات تأثير أساسي في حياتي وفي كتاباتي. وأنا في الغالب أتأثر كثيراً بالأفلام السينمائية.

هل خلفيتك كصحافية تساعدك في عملك الأدبي؟

إنني أعمل بالأحاسيس أوالانفعالات ؛ واللغة هي الأداة، الوسيلة. فالقصة دائماً تتضمن انفعالاً ما عميقاً جداً وهومهم بالنسبة لي. فعندما أكتب، أحاول أن أستخدم اللغة بطريقة وافية بالغرض، الطريقة التي يستخدمها الصحافي - لديك حيّز صغير ووقت قليل وعليك أن تمسك بقارئك من عنقه ولا تدعه يذهب. وذلك هوما أحاول أن أفعل باللغة : أن أخلق التوتر أوالشد tension. ومن الصحافة أيضاً أستخدم أشياء عملية، مثل البحث وكيف أجري مقابلةً وكيف ألاحظ وأتحدث إلى الناس في الشوارع. وكل هذا مفيد لي ككاتبة.

أعتقد أن السمو transcendence هوما تتحدثين عنه، القدرة على التحليق وإلى ما وراء هذا العالم الواقعي نحوفهم سام للمشاعر والانفعالات. فهل تزين أن رواياتك تحددها الشخصيات أكثر من أية أمور أخر؟

إن من الغريب أن يصنّف نتاجي الأدبي بأنه واقعية سحرية لأني أرى أن رواياتي هي أدب واقعي فقط. وهم يقولون أنه لوكان كافكا قد ولد في المكسيك، لكان قد أصبح كاتباً واقعياً. وعليه، فإن الكثير يعتمد على المكان الذي يولد فيه الكاتب.

ذكرت في محاضرة أنك لن تكتبي قصصاً قصيرة أخر. فهل أنت متصلبة في قرارك بعدم العودة إلى ذلك النوع الأدبي؟

لا أدري. ينبغي لي ألاّ أقول على الإطلاق أني لن أفعل شيئاً ما أبداً. إن القصص القصيرة تأتي إلى المرء كاملة. أما الرواية، فهي عمل - عمل، عمل، عمل - ثم وفي يوم ما تنتهي ؛ لكن القصة القصيرة شيءٌ ما يحدث لك كالإصابة بالإنفلونزا ! والقصة القصيرة تتطلب إلهاماً. ففجأةً، يصيبك وهج من الإشراق الذي يدعك ترى الحدث من زاوية أخرى غير متوقعة كلياً. فأنت لا تستطيع أن تستثير ذلك. إنه يحدث لك. تذهب إلى مكان، فترى أناساً يرقصون، وفجأةً تفهم العلاقة بين أولئك الناس، أويبدولك أنك تلاحظ شيئاً ما هناك لا يمكن لغيرك في الغرفة أن يراه. وبعدها تكون لديك قصة قصيرة.

حدثينا عن " قصص إيفا لونا Eva Luna

لقد كُتبت هذه القصص بصوت بطلة رواياتي السابقة : إيفا لونا. ما عدا القصة الأخيرة، التي هي قصة كيف أن رولف كارل يجد فتاةً صغيرة في الوحل فيساعدها على الموت - تلك لم تُكتب من منظور إيفا لونا. لقد كُتبت من وجهة نظره هو. وهي قصة حدثت بالفعل، في عام ١٩٨٥ في كولومبيا. وكان هناك ثوران بركان يدعى نيفادوروز، وغطى انزلاق طيني القرية بالكامل، فمات آلاف الناس. ولم يستردوا معظم الجثث، وأخيراً أعلنوا المكان كله مقبرة، أرضاً مقدسة. وكان من بين الضحايا فتاة صغيرة، في التاسعة من العمر، تدعى عُمَيرة سانشيز. وراحت هذه الفتاة - التي كان لها شعر مجعد أسود قصير جداً وعينان سوداوان كبيرتان - تتعذب لمدة أربعة أيام، وهي عالقة في الوحل. ولم تستطع السلطات أن تطير بمضخة لتضخ الماء وتنقذ حياتها، واستطاعت وسائل الاعلام أن تأتي بكاميرات التلفزيون في المروحيات والطائرات والحافلات. وشهد الجمهور، في جميع أنحاء العالم، ولمدة أربعة أيام، عذاب الطفلة.

إنك تكتبين بالأسبانية لكنك تعيشين بالانكليزية في الولايات المتحدة. وتدهشني قدرتك على أخذ شيء تراه أغلبية العالم عائقا وتحوليله إلى فائدة. فمعظم الناس يرون في العيش بلغة ثانية أمرا يتسم بالتهميش؟.

لكن ذلك شيءٌ عظيم ! مَن، يا تُرى، يريد أن يعيش في الخَضَمّ؟! منذ فترة، سمعتُ شيئاً مدهشاً من التلفزيون عن المشكلات التي ستواجهها هذه البلاد في السنوات العشر القادمة - الجريمة، العنف، الافتقار إلى القيم، تدمير الأسرة، حمل المراهقات، المخدرات، الأيدز.

وقد قال أحدهم شيئاً مدهشاً، " هل لاحظتم أن المهاجرين الجدد ليست لديهم هذه المشاكل؟

لأنهم يأتون إلى هذه البلاد بنفس الأفكار وبنفس القوة التي أتى بها أجدادنا العظام. " فكونك هامشياً يشبه كونك مهاجراً جديداً. فإذا استطعتَ أن تحوِّل الهامشية إلى شيءٍ ما إيجابي، بدلاً من الإقامة فيها كشيءٍ سلبي، فإنه مصدر مدهش للقوة.

غالباً ما نتحدث عن صوت المرأة في الأدب، وذلك منظور تكتبين منه على نحو ناجح جدا. فهل كان من الصعب عليك في " الخطة اللامتناهية " أن تكتبي بصوت رجل؟

لا. لقد كتبت أيضاً من منظور رجل وبصوت رجل في " بيت الأرواح ". فبعض أجزاء الكتاب يرويها إستيبان تروبا. ولا أجد ذلك صعباً على الإطلاق. وكان الأمر مع " الخطة اللامتناهية " سهلاً لأني استمديت إرشاداً من زوجي. ثم أدركتُ أن التماثلات أكثر من الاختلافات في جنسي المرأة والرجل. فالبشر، أساساً، متماثلون جداً، ولكننا متعلقون بالاختلافات بدلاً من التأكيد على التماثلات. فحين دخلتُ جلد البطل الذكر، الذي يستند إلى زوجي، ويلي غوردون، صرتُ أفهمه أفضل كثيراً مما لوكنتُ قد عشتُ معه ثلاثين عاماً.

وأخيراً، بماذا تنصحين الكتّاب الشباب والطامحين؟

إن الكتابة تشبه تدرب المرء ليكون رياضياً. هناك قدرٌ من التدرب والعمل الذي لا أحد يراه للتنافس . فالكاتب يحتاج لأن يكتب كلّ يوم، تماماً مثلما يحتاج الرياضي للتدرب.

والكثير من الكتابة لن يتم استخدامه أبداً، لكن من الأساسي القيام به.

وأنا على الدوام أطلب من تلامذتي أن يكتبوا في الأقل صفحة جيدة واحدة في اليوم. وفي نهاية العام سيكون لديهم ما لا يقل عن ٣٦٠ صفحة جيدة، وهذا كتاب!

http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

شكيب كاظم

تعجبني كثيرا ترجمات الانيق صالح علماني الذي قرأت مؤخرا انه لم يدع الى مؤتمر الترجمة العربية، الذي خصص لتدارس احوال الترجمة من العربية واليها، هذا الفلسطيني المبدع الذي اصبحت اعماله المترجمة علامة مسجلة للجودة والروعة والدائقة الجميلة، لذا احاول متابعة ترجمات هذا العلماني الصالح ،

ما كان الى ذلك سبيل كما تعجبني اعمال الروائية التشيلية المبدعة ايزابيل اللندي، التي تعرفت على ابداعاتها اول مرة عام ١٩٩٢ ، يوم قرأت روايتها الضخمة حجما وفنا الموسومة (بيت الارواح) التي نشرتها دار المأمون للترجمة والنشر ببغداد وقام بنقلها الى العربية المترجم الانيق الدقيق الدكتور يونيل يوسف عزيز، الاستاذ بكلية اداب جامعة الموصل .لذلك ما كان اجدرني باقتناء الكتاب الذي اجتمع فيه الاثنان، الذي اكن لهما الاعجاب والاحترام ايزابيل اللندي مبدعة مجموعة من القصص القصيرة الموسومة بـ(حكايات ايفالونا) وصالح علماني، مترجما لها، وكانت هذه المجموعة التي اصدرتها مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون بطبعتها الاولى عام ٢٠٠٨ من اواخر ما قرأت.

حكايات ايفالونا: نهايات مأساوية لحيوات عاصفة

ما يميز الاعمال القصصية لهذه المبدعة المدهشة الظلال القاتمة والنهايات المأساوية لشخوصها المستوحاة من الحياة الكابية الخابية في الكثير من دول اميركا الجنوبية، وخاصة بلدها تشيلي وصعود العساكر لحكمها بعد ذلك الانقلاب المدوي والدموي في ١١/ايلول/ ١٩٧٣ الذي قاده الجنرال بينوشيت ضد الشرعية الدستورية وصناديق الانتخاب الذي اوصل سلفادور اللندي الى رأس السلطة مستندا الى قوانين العدالة والشرعية والقانون الاساس ، فلم يعجب ذلك بعض العناصر، فقررت انقلابها وأدى الى مقتل سلفادور اللندي الرئيس المنتخب، وكذلك وفاة الشاعر التشيلي المعروف الحاصل على جائزة نوبل للاداب عام ١٩٧١ (١٩٠٤-١٩٧٣) بابلونيرودا الذي امتعنا بمذكراته الشخصية وسيرته الذاتية الموسومة بـ (اشهد اني عشت) وقام بترجمتها المترجم الفلسطيني الدكتور محمود صبح.

قلت: ميزت هذه المجموعة من القصص القصيرة هذه النهايات، المأساوية فها هو اماديو بيرالتا القاتل المحترف في قصة (اذا لمست قلبيك يحبس امرأة احبها في قبو مدة تجاوزت السبع والاربعين عاما، وليتصور القارئ ماساتها، وصدق من قال: ومن الحب ما قتل كانت هورتينسيا مدفونة في هذا القبو، وهي حية حتى اذ اكتشف امرها، وسيق بيرالتا لمواجهة العدالة، عدالة الارض والسماء، وحكم عليه بالسجن المؤبد، كان قد بلغ من (الكبر عتيا) وذرف على الثمانين ، لكن هورتينسيا ، قابلت اساءته لا، بل اجرامه، وحرمانها من التمتع بحياتها، قابلت الاساءة بالاحسان، ففي كل يوم في الساعة العاشرة صباحا كانت هورتينسيا تمضي بخطوات المجنونة المتعثرة، وتسلم الى حارس البوابة قدر طعام ساخن ليوصله الى السجين وكانت تقول لبواب السجن بنبرة اعتذارية ، لم يكن يتركني اجوع (....) وكان ماريو بيرالتا يتكور على نفسه في الجانب الاخر من الجدران (....) لابد ان ذلك التأنيب اليومي كان يعني شيئا ولكنه لم يكن قادرا على التذكر، كانت تراوده في بعض الاحيان مشاعر الاحساس بالذنب ولكن الذاكرة كانت تخونه على الفور، وتختفي صور الماضي في غمامة كثيفة لم يكن يدري سبب وجوده في ذلك القبو، وشيئا فشيئا، راح ينسى الضوء ويسلم نفسه للبؤس، ص٧٠.

وفي قصتها الرائعة (طريق نحو الشمال) تصور لنا –نحن قراءها –بقلمها الرهيف وفنها العالي، وبائل جماعات تتخفى تحت قاع المنظمات المدنية الانسانية المدافعة عن حقوق الناس، وتقديم الخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة، وهم في الحقيقة سماسرة لبيع الاعضاء البشرية، ينتزعونها من هؤلاء المساكين ، لقاء مبالغ عالية، واذا توافق الاسرة على ايداع ابنها المعوق خوان بيثيرو لدى متطوعين السيدة درموث، التي تدعى انها ستودع الطفل لدى اسر غنية لم يسبغ الله تعالى عليها رحمة الانجاب والذرية، وستتبناه ويحيا معها حياة سارة سعيدة، ويؤمنوا له كل الفرص التي لاتستطيع امه توفيرها له، واذ يسلمه ذووه بناء على هذه الوعود ، الى هذه الجمعية ، جمعية السيدة دروموث الخيرية، يصعق الاسرة خبر تناهى اليهم من خلال المذياع مفاده تصريح وزير الرفاه الاجتماعي عن ان (منظمة اجرامية تقودها من ترعى السيدة دروموث تقوم ببيع اطفال من ابناء السكان الاصليين كانوا يختارونهم من المرضى أو من ابناء الاسر الفقيرة جدا، مقدمين الوعود بأنهم سيؤمنون من يتبناهم وكانوا يحتفظون بهم لبعض الوقت من اجل تسمينهم نعم تسمينهم ، ويقتادونهم الى عبارة سرية، حيث يجرون لهم عمليات جراحية، واستخدموهم بنوك اجهزة حيوية ، فكانوا ينزعون اعينهم وكلاهم واكبادهم واجزاء اخرى من اجسادهم، واضاف الوزير انه عثر في احد البيوت بيوت التسمين على ثمانية وعشرين طفلا ينتظرون دورهم، فتدخلت الشرطة في الامر، وما زالت الحكومة تواصل التحقيقات ، هذا الخبر وقع كالصاعقة على جده، خيسوس ديونيسيو بيثيرو والناطقون بالاسبانية معروفون باسمائهم الطوال واهل اميركا الجنوبية الناطقون بالاسبانية ينحون نفس المنحى، اقول انطلق خيسوس وحفيدته كالاف‌يليس ليقطعا مئتين وسبعين كيلو مترا مشيا على الاقدام وعلى مدى ثمانية وثلاثين يوما كي يتمكنا من الوصول الى العاصمة سيرا على اقدامهم، لأنهما لا يملكان مالا يؤهلهما لركوب حافلة او واسطة نقل، سارا كل هذه المسافة ، كي يحاولا اللقاء بوزير الرفاه الاجتماعي ويسألاه بكل الخضوع الواجب، اذا ما كان طفلهم خوان بيثيرو بين الاطفال الناجين؟

وعما اذا كانوا سيعيدونه اليهم.. النقود التي اخذاها لم يبق منها الا القليل ولكنهما مستعدان للعمل عبيدا عند السيدة دروموث طوال الوقت الذي تشاءه، الى ان يسددوا لها آخر سنت من المئتين والخمسين دولارا ابنهم بمئتين وخمسين دولارا، يحدث هذا في قارة الجوع والمتناقضات..

وتظل المبدعة الكبيرة ايزابيل اللندي، تبحر بنا في هذه الاجواء القاتمة والاحداث الفاجعة والنهايات المأساوية ، مؤكدة ظلم الانسان للانسان في دول تسود فيها الرذيلة، ويخبو وهج النظام والقانون والعدل وتكافؤ الفرص.

الكتاب / حكايات ايفالونا
تاليف / ايزابيل اللينـدي
الناشر / دار المدى

"ابنة الحظ" تسحر القراء الجدد وتبيع بالملايين

"ابنة الحظ - معاينة محاذية للمعرفة التاريخية"، كتاب صدر حديثاً في تشيلي للناقد مارثيلو كودو، هو الأحدث في سلسلة الكتب النقدية التي انحنت على كتابات الروائية المعروفة إيزابيل الليندي (ليما، ١٩٤٢) التي تعد أهم صوت روائي في ما يسمّى جيل ما بعد الواقعية السحرية، أو ما بعد جيل الـ"بوم" (Postboom).

فعلا، مع هذا الجيل الجديد الذي تنتمي اليه الليندي، تم إحياء أدب أمير كا اللاتينية الذي اعتقد كثر أنه لن ينجب أسماء مهمة بعد غارثيا ماركيث أو كارلوس فوينتس أو فارغاس يوسا.

جاءت روايات إيزابيل الليندي (ابنة شقيق الرئيس سلفادور الليندي، توماس) لتنفد العديد من الآراء الخاطئة ولتتحول اعمالها، بدءا من "بيت الأرواح" عام ١٩٨٢، وصولا الى ثلاثيتها "مدينة الوحوش"، واعادة كتابتها رواية المغامر "زورو"، إلى أكثر الكتب مبيعا بالملايين، ليس بلغتها الاسبانية الأم فحسب، بل في لغات عالمية أخرى وصلت الى ٢٧ لغة.

حتى أن المترجمين العرب تسابقوا على ترجمة أعمالها ونشرها بالعربية، وأحيانا في أكثر من ترجمة، مما يمنحنا فكرة عن أثرها الروائي وشهرتها الواسعة. في هذا الإطار من المفيد أن نذكر أن الليندي عاشت مرحلة من طفولتها في العاصمة اللبنانية بيروت، وذلك بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٨.

مدريد - عبد الهادي سعدون

× لعبة الكذب

الكتاب النقدي الذي نستعرضه هنا يتخذ من إسم رواية لها، "إبنة الحظ"، عنواناً أساسياً، مع عنوان فرعي هو: "معاينة محاذية للمعرفة التاريخية". ويجعل العمل من روايتها "ابنة الحظ" نموذجاً تطبيقياً للرواية ذات الطابع التاريخي، مقارنة بروايتين أخريين هما "صورة عتيقة" و"ايفالونا"، على اختلاف شاكلة التناول والسرد في الروايات الثلاث، وأنماطها التعريفية للتاريخ كحادثة حكائية أو كحدث تاريخي مجرد.

وهو ما ركز عليه المؤلف مارثيلو كودو وحاول تتبعه عبر فصول الكتاب الأربعة، التي يختتمها بحوار موسع مع الليندي في أكثر من ثلاثين صفحة: حوار صريح وشائق حول أكثر النقاط إثارة في حياة الكاتبة وأعمالها، ليصبح الكتاب بفضله لوحة متكاملة ومتناسقة مع الفصول الأربعة الأخرى. يعدّ الناقد مارثيلو كودو من أهم المتخصصين في أدب إيزابيل الليندي، وأيضاً بالأدب النسوي في أميركا اللاتينية، وهو أول من عرّف بها في كتاب شامل عن أثرها السردي الجديد في العام نفسه الذي شهد صدور روايتها الأولى. بل يعتبر كودو أكثر من كتب حول أعمال الليندي، وكتابه هذا هو الخامس من نوعه في هذا الاطار.

عبر فصول الكتاب المتتالية يتعمق الناقد في دراسة أثر الحكاية كخلق مبتكر ويغوص في جذورها التاريخية كحكاية مجسدة في النمط الروائي. وهو إذ يتخذ من "ابنة الحظ" نموذجا يبيّن تطبيقاته النقدية (وبعدها رواية "صورة عتيقة")، فإنه في الواقع يخرج في أكثر من مجال على خط فكرته الأساسية، ليستعرض أعمال الليندي منذ "بيت الأرواح"، مروراً بكتب لا تصنّف أساساً ضمن باب الأدب الحكائي أو الروائي، مثل "باولا" (سيرة ذاتية) أو "أفروديتا" (كتاب في المتع الإيروتيكية وعالم الطبخ). لكن استناداته ترتكز دائماً على شقين.

الأول أن الليندي دائمة الولع بالإحالات التاريخية إلى درجة زحزحة عناصرها الرئيسة لتظل في الأخير أداة حكائية متماسكة مع النص الأصل.

والثاني أن الليندي تكشف في معظم "اعترافاتها" الأدبية عن لعبتها الحكائية، وتتخذ من الكذب أو التقمص رقعتها الجغرافية الأهم، وهي التي تتحدث عن عدم اعترافها بالمقررات النقدية ولا بضرورتها الحقيقية. تقول الليندي في هذا الموضوع: "دائماً ما جذبني عالم سرد الحكايات. كانوا ينعتونني بالكاذبة، أما اليوم فإنني أربح من كذبي هذا، وفي النتيجة أصبحت كاتبة. الكذب، كما يذكر أغلب الكتّاب، أصبح متفوقاً على الحقيقة، والرواية الأدبية تتجاوز العالم الواقعي الذي يحيطنا".

يتناول كودو هذا العنصر الأخير لدى الليندي للإشارة إلى عالمين متوازيين في الحقيقة، على الرغم من عدم وجود علاقة رابطة. فالواقع هو العنصر المركزي ونقطة الإشارة التي لا يمكن تجاوزها في أي بناء فني، حتى لو جاءت إحالات الكاتب نفسه لتشير الى نقيض الصورة المتوافرة. تحفل روايات الليندي بالوقائع التاريخية، هذا إن لم تكن الحدث الرئيسي فيها، فتجعل من التاريخ واقعاً معيشا، واقعا يوميا ملموسا، من دون أن يفقد صلته مع الحاضر.

كأن الكتابة لديها محاولة لفهم غموض الإحالات التي يمضي فيها خط الحياة، أو لجعل الحياة، كما تؤكد الكاتبة، أكثر قبولا، وتغيير قدريتها عند الإمكان.

إن غوص الليندي في أدواتها الكتابية شبيه بقدرة المنجم، وهي تقول في هذا الصدد: "طريق كتابتي الدائرية ليست عنصراً سردياً على الاطلاق، بل جزء لا يتجزأ من شخصيتي وجوهري، لأنني في الحياة الواقعية أمتلك مثل هذا الإحساس أساسا. ذلك أني أعتقد أن التقاويم والساعات هي اساليب معينة لفهم الواقع، لكنه ليس واقع الماضي ولا الحاضر أو المستقبل، بل الواقع "الأبدي". فكل ما حدث، أو يحدث أو سوف يحدث، يحصل في آوانه، لأنه جزء من الواقع. في الأدب، تعمل الذاكرة مع الكلمة على مسح ادراك الزمن نفسه".

× فن التنصّل

كل رواية من روايات الليندي تتطرق الى أنماط مختلفة وعديدة من الوجود الإنساني، إلى درجة الإحساس بالبرمجة الذاتية في إبداعها: في عالمها السردي ثمة قواعد واضحة: هناك المعاناة، العنف والرعب، لكن أيضاً عنصرا الحب والتضامن. وهذا تماماً هو فضاؤها الأدبي، والعالم الذي صنعت منه كتبها، حيث أن موضوعاتها الرئيسية تدور حول الحب، الموت، التضامن والعنف. وكلها تتجدد بصيغة أو بأخرى في كل عمل جديد، لأن ما من عمل سابق لها لا يضم هذه العناصر.

أما الجانب التاريخي فيها فحاسم كما ذكرنا. إذ نراها في كل خلق روائي تستخدم بعدي الفضاء والزمن. "بيت الأرواح" مثلا تدور في القرن العشرين، "ايفالونا" في فترة الديكتاتورية الفنزويلية منتصف القرن، "ابنة الحظ" ما بين عامي ١٨٤٠ و١٨٥٠، بين تشيلي وكاليفورنيا والصين، أما "صورة عتيقة" فتتناول الهجرة المعكوسة للتشيليين من كاليفورنيا إلى تشيلي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

نشأت لدى الليندي منذ أول أعمالها صلة رقيقة ومتشابكة ما بين التاريخ والحكاية، إلى درجة أن التاريخ أصبح عاملا مساعدا في تشكيل عوالمها الأدبية، وليس العكس، كما هي الحال في الروايات التاريخية.

أي أن التاريخ يبدأ عندها من نقطة الإلمام بواقع تاريخي، ويتخلى حينذاك عن عناصره الأخرى، ليصبح مجرد أداة من بين أدوات أخرى تنصهر داخل عملها الروائي.

وتؤسس الليندي عبر أعمالها المتعددة لما تسميه ملكة "الاستحواذ والتخلص"، بمعنى الإستحواذ على التاريخ ثم التخلص من تبعاته.

فهي غالبا ما تتخذ في بناء شخصياتها الروائية نماذج من الواقع القريب أو البعيد، وتلجأ أحيانا الى البحث والتنقيب التاريخيين، لكنها في ما بعد، وفي كل الأحوال، تتنصل من تبعات هذا التاريخ بعد أن تكسو شخصياتها أبعادها الخاصة، التي غالبا ما تكون مزيجا من شخصيات عدة، فلا نعود نعرف – والأدهى، لا تعود الكاتبة نفسها تعرف – درجة انتمائها الحقيقي ا لى الواقع أو الى الخيال.

في ختام الكتاب يخلص المؤلف مارثيلو كودو إلى رأي، كثيرا ما يرتبط بأكثر الكتاب مدعاة للدراسة أو القراءة، ألا وهو أن كل واحد فيهم شبكة موزاييكية غريبة. للمثال، جواب الليندي نفسها عندما سألها عن الكتابة: "الكتابة بالنسبة الي كانت بداية طريقة خلاص من الروتين اليومي، ومن جملة معضلات حياتية. لذا كتبت "بيت الأرواح".

لكن بعد روايتي الثانية، اي عندما فكرت بكتابة "ايفالونا"، قررت أن أعيش من الكتابة وأن أؤمن بأهليتي ككاتبة.

أما التساؤل بشان اذا كان ما افعله عبثاً أم لا، إذا كان يستحق تضحياتي أم لا؟ فذلك سؤال أطرحه على نفسي كل يوم.

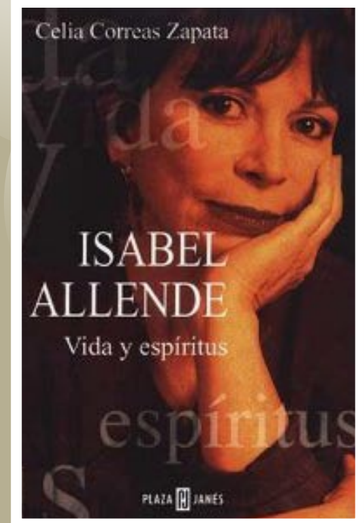

عايدة إيدرماريام - ترجمة : نجاح الجبيلي

قبل يوم من لقائي بها شاركت "إيزابيل الليندي" في مسيرة . لقد سمعت أن دائرة الهجرة والكمارك، وهي من إبتكار بوش، قد قامت بمداهمات من بيت الى بيت غير بعيدة عن المكان الذي تعيش فيه، في منحدر يطل على خليج سان فرانسيسكو وفي إحدى هذه المداهمات قبض على أب مع ابنه الذي يبلغ السابعة والذي لم يسمح له بالذهاب لهذا قيد الاثنان وتم ترحليهما. وحين أكتشف عمدة المدينة المكان الذي أخذا اليه دعا إلى اجتماع للمدينة. ووجدت "الليندي" نفسها تصيح عبر المايكروفون وهي تسير "محاطة بالجمهور المتكلم بالاسبانية وجميعهم من المخلطين – ناس قصير و القامة ذوو شعر أسود – وكانوا يصيحون بالشعارات نفسها التي رددوها خلال السبعينيات في تشيلي "الشعب المتحد لن يقهر!" وحين آوت إلى الفراش في تلك الليلة هاجمها الذعر" لأن كل شيء عاشته خلال الانقلاب العسكري قد عاد. وأدركت أني قد عشت ذلك سابقا مع فوارق مختلفة".

من "بيت الأرواح" إلى "أنيس حبيبة روحي" ..

إيزابيل الليندي : رحلة الحياة و الكتابة

كانت الليندي نفسها قصيرة القامة ذات شعر أسود وهي الأم الحاكمة التي عمرها ٦٤ عاما والمتأكدة بأنه بعد انقلاب "بينوشيه" الذي قتل عمها الثاني سلفادور الليندي وألقى بأخيها في موسكو وأرسلها إلى "فنزويلا"، أن أفراد عائلتها كلهم قريبون منها: أبنها يعيش مع زوجته الثانية وأحفادها ينزلون عند التل؛ زوج ابنتها وعائلته يعيشون في البيت الذي تشغله هي مع زوجها المحامي من سان فرانسسكو والروائي "وليم غوردون". والبيت الذي يسكنونه الآن ذو غرف منحنية ومسبح يطل على الخليج. ويُدعى "بيت الأرواح" نسبة إلى الرواية التي فتحت الباب لحياة جديدة لها أشد تحرراً.

ولدت الليندي في "بيرو" حيث عين أبوها توماس دبلوماسياً؛ ونتيجة لاختفائه حين كانت في الثالثة كان على أمها أن تعود إلى تشيلي. تقول: " أتذكر طفولتي كزمن مريع، لكن أمي تقول بأن لا شيء مريع للغاية حدث فيما مضى لي كالأمور التي أتذكرها". وحين ماتت جدتها – وهي التي أوحت لها بشخصية "كلارا" في رواية "بيت الأرواح" – ١٩٨٥ والشخصية المفضلة لدى الليندي في كل رواياتها- ارتدى جدها السواد وصبغ الأثاث كلها بالأسود. وكانت أمها التي عمرها الآن ٨٦ سنة تبدو مريضة دائما "لأنها عاشت تحت المظلة الكبيرة لجدي ولم تتلق أي تعليم- كان لديها ثلاثة أطفال وهجرها زوجها ولم يكن لديها مال – كانت حياة مريعة. الطريقة الوحيدة التي كانت بها تجذب انتباه أبيها أو الناس هو أن تبدو مريضة. كانت تفعل ذلك دون وعي. وكطفلة البراءة: بعده كان اسمها يعني أنها قبض عليها وهي تؤمن ممراً آمناً لأولئك المطلوبين في القائمة فهي ساعدت أمها وزوج أمها وهو دبلوماسي في الأرجنتين نجا بإعجوبة من الاغتيال وحين أضيفت هي إلى القائمة بدأت تتسلم تهديدات بالموت، فهربت إلى فنزويلا حيث بقيت هناك ١٣ سنة.

أعطتها فنزويلا الحرية في أن تبقى مجهولة الاسم لكن جردتها أيضاً من حس الجذور أو الهدف فانغمرت في الشؤون العامة وبعد فترة وجيزة هربت إلى باريس مع عازف فلوت في فنزويلا كتبت مرة " كفت الحسية عن أن تكون خللاً يجب إخفاؤه من أجل التهذيب وتم قبوله كجزء أساس في طبيعتي". ومع ذلك تقول الآن إن عليها أن تبذل جهداً واعياً لتحتوي الأحاسيس في كتاباتها وتجد أن الكتابة عن الحب والجنس أسهل كثيراً من الكتابة عن العنف. وقد تركت لم أستطع. كان عليّ أن أساعد عائلتي. كنت غير جاهزة. وفكرت أني أحتاج إلى خسارة وطني لكي ابدأ بالكتابة لأن رواية "بيت الأرواح" كانت محاولة لبعث الوطن الذي خسرته والعائلة التي فقدتها". كتب "أيان ستافانس" بروفسور الحضارة الأمريكية اللاتينية في كلية أمرست/ ماساجوستس ومؤلف " الحالة الهسبانية" بأن الرواية " ترمز إلى نهاية نادي الأولاد القدماء في آداب أمريكا اللاتينية. هذا النادي التجريبي للغاية كان يبحث من خلال خوليو كورتاثر وخوزيه ليثاما ليما وآخرين في ترميم الأدب: ليظهر أن الرواية كجنس لم تعد تنتسب فقط لإوروبا حيث ظهرت مستهلكة بعد كافكا " سوف يكون من الأفضل كثيراً لو إني بدأت الكتابة في سن التاسعة عشرة. لكني وبروست وجويس لكنها كانت حية وفعالة في الأمريكيتين". ومع وصول الليندي كانت شهية الجمهور " للتسلية المطلقة. سرعان ما أصبحت الليندي ضجرة تعبة من مقارنتها مع غابريل غارثيا ماركيز ومن الزعم المتكرر كونها المنتسبة الذاوية في طية الواقعية السحرية". تقول باقتضاب" أريد فقط أن أروي قصة بصورة مباشرة إن أمكن من جميع الزوايا بصوت قوي". لا أحاول أن أجرب الشكل". في الواقع إن الأوجه الأكثر باروكية لعملها خافتة باستمرار.

وما نشرت روايتها الثالثة "إيفا لونا" – ١٩٨٩ حتى تركت العمل اليومي في مدرسة للمعاقين وانفصلت عن زوجها. كان لدى الليندي رغبة غير عادية في إظهار حياتها الخاصة على الملأ.يحتوي موقعها على الأنترنت صوراً شخصية وكتبت بلا تحفظ وبسخرية ذاتية عن الطريقة التي قابلت بها زوجها الثاني" محام أمريكي شمالي ذو سحنة إيرلندية بمظهر ارستقراطي وربطة حرير كان يتكلم الاسبانية مثل مكسيكي ولديه وشم على يده اليسرى". وهو حدث في رواية " عن الحب والظلال" – ١٩٨٧. وفي غضون أسبوعين أرسلت إليه بالبريد عقداً فصلت فيه مطالبها للتهيؤ للزواج، على الرغم من أنها " مندهشة تماماً من الطريقة التي كان يعيش بها وكم كانت عائلته تبعث على الفزع. كان لديه ثلاثة أولاد وجميعهم مدمنو مخدرات. كيف يمكن أن يكون لديك ثلاثة أولاد جميعهم مدمنو مخدرات؟. لا معنى للعائلة فكل شيء مفكك" وسرعان ما وجد نفسه موضوعاً لرواية "الخطط اللانهائية" – ١٩٩٣ وجدت إن إنكليزيته المختلطة بالاسبانية المخترعة غالباً كانت تزحف في كتابتها التي تعج هذه الأيام بالغرائب اللغوية والنحوية.

تقول عن الضجة التي أثارها أقاربها في تشيلي عن رواية "بيت الأرواح" "لو خيرت بين أقاربي وقصة جيدة لاخترت القصة". وهذه النزعة نتج عنها مذكرات في عام ١٩٩٥ سميت رائعتها. وقد كتبتها بجانب فراش ابنتها "باولا" بعد أن وقعت وهي في التاسعة والعشرين في حالة إغماء استمرت سنة كاملة لحقته مضاعفات بسبب البورفيريا. في البداية كان القصد منها كطريقة لإملاء الفراغ من أجل ابنتها حين رجعت إلى وعيها، كانت باولا هاثجة حزينة وصريحة صادقة للغاية. حين تبدأ الليندي بالإدراك أن أبنتها لن ترجع أبداً، أو في الواقع ميتة، فإن الأمر لا يحتمل. كانت أم إيزابيل التي هي محررتها الموثوق بها، أصابها الروع وأرادت منها أن تحول قصتها إلى رواية. حاولت "الليندي" لكنها شعرت بالإثم والخيانة لباولا فرفضت.

بعد سنة أختفت ابنة غوردن وافترض أنها قتلت. (والابن الأكبر قضى حياته يدخل السجن ويخرج منه والابن الأصغر بعد ثماني سنوات من إدمانه الهيروين شفي). وكانت هذه هي نهاية زواجهما تقريبا.

تقول: " لكن في كل مرة أذكر كلمة "طلاق" يدفعني "ويلي" إلى العلاج. كان عازماً على إبعاد الأمر وقد نجح. كان الأمر مضحكاً لأني أذكر مرة بأننا عقدنا صفقة أن لا نذكر كلمة طلاق لمدة ثلاثة أسابيع مهما يكن الأمر، حتى لو قتل أحدنا الآخر لكن تلك الكلمة لن نذكرها أبداً. وهذا الأمر أنقذنا لأننا أدركنا أنه إذا ما وضعت طاقتك في حل المشكلة بدلاً من الهرب منها فإن كل شيء يتغير". ومرت خمس سنوات قبل أن تعود إلى الكتابة من جديد. واختبرت الماء برواية " أفروديت" – ١٩٩٨ وبدأت كتابة رواية "ابنة الحظ" – ١٩٩٩ عن الشيليين في حمى الذهب في كاليفورنيا قبل أن تقع "باولا" مريضة لكنها لم تنهها لسبع سنين أخرى.إنها ميلودراما جارفة مليئة بالعيون الوامضة والقراصنة والحب من أول نظرة.

تعرف الليندي أن هذا النوع من الأمر يعني أن كتبها لا تراجع في غالب الأحيان وخصوصاً في تشيلي ومع ذلك كانت معروفة هناك (أصبحت رواية "إنيس حبيبة روحي" على قمة الكتب الأفضل مبيعا منذ أن نشرت هناك منذ آب ٢٠٠٦) لكنها جسورة متحدية إذ تقول " اعتقد بأن أي كاتب تجاري يشتري عدداً كبيراً من الكتب عليه أن يواجه النقد لأنه كلما كان كتابك أكثر صعوبة فمن المفترض أن تصبح أفضل. لكن كصحفي تعلم بأن لديك قراءً وعليك أن ترتبط بهم على أية حال. إذا لم يقتن القراء كتبك ويقرؤونها فإنك تبدد وقتك بلا فائدة. أريد من الناس أن يتقمصوا الشخصيات ليعرفوا بأن الناس الآخرين يشعرون بالطريقة نفسها. ليعرفوا إنّ ما يحدث لهم الآن في نقطة محددة – موت طفل أو ما شابه- قد حدث من قبل وسوف يحدث.

عن / صحيفة الغارديان

امرأة من بناة العالم

عندما كتب "ستيفان زفايج" كتابه المهم "بناة العالم" لم تمهله سنوات عمره القصير أن يصل الزمن الذي جاءت فيه إيزابيل الليندي حتى تدخل بين بقية الكبار الذين جاء ذكرهم في موسوعته عالية القيمة، التي بين شخوصها (تولستوي، ديستويفسكي، أدغار آلن بو، أنطون تشيخوف، بلزاك) وغيرهم من عمالقة الرواية والقصة القصيرة. فهذه الكاتبة التشيلية المتميزة حقاً، تستحق أن تأخذ مكانها بين بناة العالم من الرجال، وما يزال ثمة متسع من الوقت حتى يقال فيها ما هو حق لها في ميزان الإبداع العالمي الذي لا يخطئ في حجوم كبار المبدعين وقيمة كل واحد وأهميته ومستوى إنجازه ونوعية العطاء الانساني الذي أسبغه على شهيق الدنيا وتريثها.

لو عاشت إيزابيل الليندي في أي بلد تحكمه التقاليد القسرية والشرائع الضيقة لما ظهرت إلى الوجود أبداً، ذلك أنها تقول ما لا يقال (رقابياً) وتحكي ما لا يحكى (عربياً) وتقصّ علينا ما لا يقصّ (إسلامياً) ومن هنا جاء تميزها في الكتابة بعد أن اخترقت المألوف الأنثوي السائد بالمفاهيم المتفق عليها عربياً.

عبد الستار ناصر

أتذكر "ليلى بعلبكي" التي اختفت بعد رواياتها "أنا أحيا" كما أعود بذاكرتي إلى غادة السمّان التي تمكنت من اجتياز حاجز الخوف من الرقابة الصارمة التي تفرضها شرطة الأخلاق وأنا أنظر باحترام إلى تجارب "عالية ممدوح" التي أسهمت في كشف المستور عراقياً وعربياً، والأمر نفسه مع المبدعة المصرية سلوى بكر.

لكن الحال مع إيزابيل الليندي أبعد من الاعترافات وأكثر جرأة من دخول المنازل المعتمة وأكثر خصوصية من تسليط الضوء على فراش النوم، ذلك أنها تكتب رواياتها من دون أن تفكر لحظة واحدة في الشرطي العالمي الذي يتربص بالممنوعات والذي يطارد المبدعين شرقاً وغرباً لئلا يذهب أيّ واحد منهم إلى صومعة الأديان، أو يكشف الحجاب عن دهاليز الساسة أو يهمس بكلمة ملغّزة عن مخادع الجنس.

وقد قرأت أعمال هذه المبدعة جميعها حتى وصلت إلى كتابها المثير (باولا) (١) وهو مزيج من الرواية والمذكرات، تكتب فيه ما جرى في حياتها وهي تقرب سرير ابنتها باولا التي أصابها مرض خطير مضى بها إلى الموت بعد غيبوبة دامت شهوراً، كانت تعترف بكل شيء مهما تعسّر ذكره، كأنها تكتب وصيتها الأخيرة، وقد كتبت إيزابيل تلك الصفحات. وعددها ٣٧٤ صفحة خلال ساعات لا حصر لها قطعتها في ممرات المستشفى في مدريد عاصمة إسبانيا، وأحياناً في غرفة بأحد الفنادق التي عاشت فيها أكثر من نصف سنة، ثم انتهت من كتابته وهي قرب سرير ابنتها في دارها خريف عام ١٩٩٢ في مدينة كاليفورنيا بعد عذاب وانتظار، بين شهيق وزفير، بين موت مشكوك فيه وحياة مشكوك فيها انتهت برحيل ابنتها باولا أو كما تقول في آخر صفحة من الرواية:

– وداعاً باولا المرأة، أهلاً يا باولا الروح.

حيث لم يبق من الدمع ما يذرف بعد غيابها، لاسيما أن الحياة نفسها لم تعد تبتسم أبداً.

في هذه الرواية (المذكرات) يظهر جلياً تأثر إيزابيل الليندي بألف ليلة وليلة، وهي لا تخفي ذلك بل تفخر به وتؤكده دائماً، والذي يقرأ (بيت الأرواح) و(ابنة الحظ) و(صورة عتيقة) و(عن الحب والظلال) يدرك الشوط الذي قطعته إيزابيل في بحور تلك الرواية العجائبية التي كانت وما تزال من أجمل ما أعطى العرب من موروث حكائي على مدى مئات السنين.

×××

لم تلجأ إيزابيل إلى الفواجع وحدها حتى تقول (كم هي حزينة على فراق باولا) بل أثمرت فواجعها إبداعاً يستحق منا الاحترام هذه السيدة ـ المبدعة ـ الأم ـ الإنسانة التي اقتربت من العالمية بخطى أسرع من أقرانها في تشيلي وأمريكا اللاتينية، رجالاً ونساء، حتى أنها اليوم تنافس الكثير من أسماء الكبار أمثال (غونتر غراس، جوزيه ساراماغو، شيموس هيني، غاو كيسنجيان، كلود سيمون، وول سوينكا، جوزيف بروديسكي، نادين غورديمير، وتوني موريسون) وكلهم كما نعلم حاصلون على جائزة نوبل في سنوات ليست بعيدة عنا.

كل كتاب عظيم ينبت على أرض البشر هو حدث كبير يستحق أن نفرح به ونحتفي بولادته، و(باولا) كما يرى ناشره وكما أرى شخصياً (حدث استثنائي له خصوصيته) كما أنه أكثر حميمية في التصاقاً بوجدان القارئ من بقية أعمالها، لأنها هي بطلة الرواية وما تحكي عنه هو ما جرى لها ولعائلتها وتاريخها وعشاقها أيضاً، وقبل ذلك كله ما جرى لوطنها من انقلابات عسكرية وسفك دماء وموت بالجملة.

عن رواياتها الأولى (بيت الأرواح) تقول إيزابيل "إن هذا الكتاب أنقذ حياتي، فقد كنت أفحص أعماق نفسي وأرحل معها إلى أشد كهوف الوعي عتمة، مع تأمل بطيء لكل شيء أراه، وكنت أكتشف في أثناء الكتابة طريقتي إلى الحقيقة" وقبل أن تبدأ به كان كل شيء جاهزاً بين يديها، بما في ذلك العنوان والجملة الأولى.

– أنا أعرف المبدع من أول جملة يكتبها.

الذي نعرفه عن إيزابيل هو أنها عملت في التلفزيون وكانت في أوقات فراغها تقوم بترجمة روايات رومانسية من اللغة الإنكليزية إلى الإسبانية، وكانت تضحك من تلك القصص التي تكون فيها المرأة شابة وجميلة وعذراء وتفكر في فارس أحلامها، ويكون الرجل في تلك الروايات مفعماً بالفحولة والقوة والفروسية، ولابد في نهاية الحكاية أن يتزوجا، وما كانت إيزابيل في حينها تكتب القصص، لكنها على ما يبدو قررت أن تأخذ كتاباتها منحى آخر لا يشبه ما جاء في تلك الروايات المحشوة بالشفاه الممتلئة والعيون الناعسة والنهود الناعمة، ومن هنا جاءت رواياتها الأولى (بيت الأرواح) قفزة عالية اقتربت بها نحو عالم الكبار، سرعان ما تحولت إلى شريط سينمائي من أفضل ما رأينا.

ولم تقف إيزابيل عند هذا الحد الاستثنائي من النجاح، بل تخطت نفسها وأبناء جيلها لتكتب (عن الحب والظلال) ثم وصلت ذروة إبداعها في ثنائية (ابنة الحظ) و(صورة عتيقة) التي حفرت بهما اسمها عميقاً في دنيا الرواية، لكن مأساتها بموت (باولا) الذي خفف في حدتها من جموح عطائها فترة ليست قصيرة، إذ بها تظهر بثبات كتابها الذي أعطته اسم ابنتها نفسه، لتؤكد أن الفواجع يمكنها أن تحلق بصحبة الإبداع مهما كان مستوى الألم.

×××

هي الآن، وقد تجاوزت التاسعة والستين من العمر (مواليد ١٩٤٢) متوهجة في إبداعها، راضية تمام الرضا عن كل ما يجري وما جرى في حياتها مهما كان حجم الخسائر التي عاشتها، تقول على الصفحة ١٣١:

– أتقدم كل خطوة والسيف في يدي من دون منذ البداية حتى النهاية، تحركهم إيزابيل عبر ٤٣٨ صفحة من الحروف العربية الناعمة وتمشي بهم على بساط الريح القصصي، حيث تأخذهم أمواج الغيوم والسحب الرمادية صوب الشمال ونحو الجنوب، لا أحد يعرف مصائرهم غير إيزابيل الليندي التي أبداً ما أغفلت نسيج أي واحد منهم وما فات عليها سهواً طقس هذا أو عادات ذاك، بل تعرف، بدقة الساحر وخبرة الحرّيف، رائحة كل شخصية من شخوصها وتفهم نوع لباسها وحجم طاقتها على التفكير، حتى إنها، وهي على وفاق حقيقي مع أبطالها، لا تنسى السنوات ولا الشهور التي مرّت على (الزا سوميرز) أو الحكيم الصيني النبيل (تاوتشين) أو بائع الكتب المقدسة (جاكوب تود) مثلاً، وماذا فعلت تلك الأيام والسنوات بعائلتها المصنوعة من مخيلة جامحة، إنها تحيا معهم، أو لنقل كانوا معها فعلاً طوال عشرة أعوام كاملة، هو زمن الرواية التي جرت أحداثها العجائبية منذ عام ١٩٤٣ حتى نهاية سنة ١٨٥٣ بكل ما احتوت عليه تلك الحقبة العسيرة، زمنياً وسياسياً وأخلاقياً، من غرائب وحب وموت ورحيل وجرائم وبحث مجنون عن الذهب وبحث غريزي عن الحرية والانعتاق والمساواة والعدالة.

سوف يستغرب القارئ كيف تمكنت إيزابيل من جمع ذاك الشتات العشوائي من الأخبار والحكايات والوثائق والرحلات في جعبة رواية واحدة، دسمة ومحشوة وكبيرة، صار عنوانها ذات لحظة من الزمن (ابنة الحظ) (٢).

ربما كان الشعر في هذه الرواية أكثر حضوراً من القص، إذ تأتي حالات الحب والغضب والفراق والشوق مرسومة على جبين أبطالها، لا تدري أي شيطان عجيب جاء بالقرن التاسع عشر ورماه أمامك عارياً من أسراره وستائره، مكشوفاً بعيوبه وشعابه وجغرافيته، بحيث أنك تحيا تلك السنوات في بواخر شراعية تشبه السفينة (بونتي) وقطارات تمشي بالخشب المحروق وشوارع من تراب وحياة لم تمسّها بعد إعلانات الشامبو أو سجائر المارلبورو.

×××

لن تعثر على أي تداخل مريك ما بين الماضي والحاضر كما هو الحال في روايات ما بعد الحداثة، ولن تجد تشابها بينها وبين معاصريها أمثال غونترغراس أو ميلان كونديرا، بل تأخذ الكاتبة إلى عنصر (حي) يغمرك حتى رأسك بما يجري أمامك في ميناء (بالباريسو) على المحيط الهادئ حيث تبدأ الحكاية، ثم إلى كاليفورنيا، بل تسحبك إيزابيل إلى سان فرانسسكو لترى نفسك أمام موعظة تقول "إننا جميعاً، جئنا نبحث عن شيء ما، فوجدنا شيئاً آخر" وتلك العبارة المأثورة هي موجز المعنى النهائي لرواية ابنة الحظ آخر بيضة ديك في نهايات القرن العشرين.

وبرغم أن الرواية لا يمكن اختصارها، لكنني سأحكي عن الزا سوميز التي أحبّت خواكين موريتيا وكان أول رجل يدخل إلى حياتها ولم تزل في السادسة عشرة من العمر، لكنه يرحل صوب مكان مجهول، وفي حمّى الحب الأول أو جنون الحب الأول تهرب الزا بحثاً عن الرجل الذي تحب، وطول زمن الرواية وهي تبحث عنه، عاشت الكثير من الشدائد واخترقت العشرات من المصاعب والمحن والمتاعب، بما في ذلك إيهامُ الجنين الذي تركه (خواكين موريتيا) في أحشائها ولم يعبأ بما فعل، وصارت ترى الدنيا وأسرارها خارج ذاك البيت الهادئ الذي ترعرت فيه، فهاهي تجوب البقاع من أرض إلى أرض ومن جنس بشري إلى جنس، تحيا متخفية بملابس صبيّ أبله أكثر من ثلاث سنوات حتى كادت أن تنسى أنوثتها، وحين تشعر أن عمرها يمشي من دون جدوى، تسمع الحكيم (تاوتشين) يقول:

. ليس هناك شيء دون طائل وما من أحد يصل في الحياة إلى أي مكان، إننا نمشي وحسب.

صارت الزا سوميرز تكتشف المزيد من الأشياء وأنواع البشر، حتى إنها صارت في ماخور (جو كسّارة العظام) وأمضت الليالي بين باثعات الهوة وسماسرة الأجساد (باعتبارها مجرد صبيّ صغير يخدم في البيوت) وانقطع بها حبل العودة إلى (بالباريسو) نحو حياتها السابقة الدافئة المطمئنة، لكنها ارتبطت روحياً بالحكيم الصيني (تاوتشين) الذي كان وحده طوق نجاتها من الوحشة والخوف والجنون، وفي نهاية الرواية، بعد بحث مجنون عن الحبيب الغائب، يصلها خبر موته، موت خواكين موريتيا، إذا بها تقول في السطر الأخير من الرواية:

– إنني الآن حرّة.

نعم، تحررت من قيد فرضته (هي) على نفسها، وتحررت أيضاً من مراهقتها ومن جملة أخطاء مشت وتسللت إلى صميم حياتها، ليس أولها الظنون وليس آخرها الوهم الذي كان يعانقها في لحظات اليأس.

هذه العبارة (إنني حرّة الآن) تأتي في نهاية سفر طافح بالأوجاع والتجارب والآلام والدموع وذرف الحسرات واحتواء البرد والحر والثلوج والزمهرير من أجل رجل ما كان يدري، حتى مماته، أن ثمة من كان يبحث عنه.

إيزابيل الليندي تكتب عن شخصيات تشعّ منها الروح قبل الجسد ويتألق منها الإنسان حتى إن جاءنا بثياب الوحش، كما هو الحال مع شخصياتها الثانوية أمثال بابلو الشرير الذي يحيا بقلب طفل وعضلات هرقل، أو شخصية خوسيفا المكسيكية التي قتلت أحدهم بغرز سكينها في منتصف قلبه ثم شنقت نفسها بيديها، إلى جانب أثوثيئا بلاثيرس، المومس التي تساعد الناس بكثير من الرحمة واللطف والتي أنقذت الزا من الموت عند إجهاضها، وأعتقد أن هذه الرواية (ابنة الحظ) تجاوزت ما سبق من إبداعات الكاتبة برغم أن الذاكرة لا يمكنها نسيان (بيت الأرواح) ولا يمكن بأية حال ترك روايتها الرائعة (عن الحب والظلال) خلف دائرة الإعجاب، والكلام نفسه يقال عن (حكايات إيفالونا).

اعتمدت إيزابيل في (ابنة الحظ) على شخصية خواكين موريتيا الغائب الحاضر على امتداد ثلاثة أرباع الرواية، وهي نفسها الشخصية الأسطورية التي كرّس لها الشاعر بابلو نيرودا مسرحيته المعروفة، وهي مسرحيته الشعرية الوحيدة في الوقت نفسه، والتي أعطاها ذاك العنوان الشهير (تألق خواكين موريتيا ومصرعه) ولهذا غاب خواكين عن الرواية وعن القراء بينما بقينا نتابع أخباره من جميع أبطال الرواية.

×××

إيزابيل الليندي أنقذتني ثلاث مرات، يوم حطمني الحنين إلى وطني أخبرتني أن الوطن هو الذي تخترعه أنت وتسكن فيه وليس بالضرورة أن يكون المكان الذي ولدت فيه، ويوم قررتُ التخلص من حياتي وشطب ما تبقى منها، ضحكت مني وقالت: مهما طال عمرك فهو لا يعني أي شيء موازاة مليارات السنين التي عاشتها البشرية، وما عليك غير أن ترى بعض غرائب الحياة وعجائبها فهي تستحق المجازفة والعوم في بحرها العميق الرهيب.

وفي المرة الثالثة، وكنت يومها أمشي صوب حالة من اليأس والأجوى والإحباط، أعطتني كتابها (باولا) الذي حكت فيه أسرارها جميعها وهي كما أخبرتكم تجلس قرب سرير ابنتها التي ستموت في نهاية السطور، مما أرغمني على رؤية الأشياء بأسلوب الميّت الحي، أن تكون (مع) الحياة حتى في لحظة إحساسك إنها (ربما) تخلّت عنك، ذلك أن الحياة كما البركان أو الزلزال، يمكنها فجأة أن تتغيّر، في ساعة نحس أو في برهة يأس من زمن الأرض، وتنقلب من حال معوج إلى حال أكثر اعوجاجاً، أو العكس، وترى نفسك في أعلى الصورة بعد أن كنت أسفلها أو العكس أيضاً.

علّمتني إيزابيل بأنني لست الوحيد الذي عاش بين القتل والدخان والحروب والمعتقلات والتشويه وغسل الدماغ، وأن بغداد التي احترقت عشرات المرات لا تختلف عن تشيلي

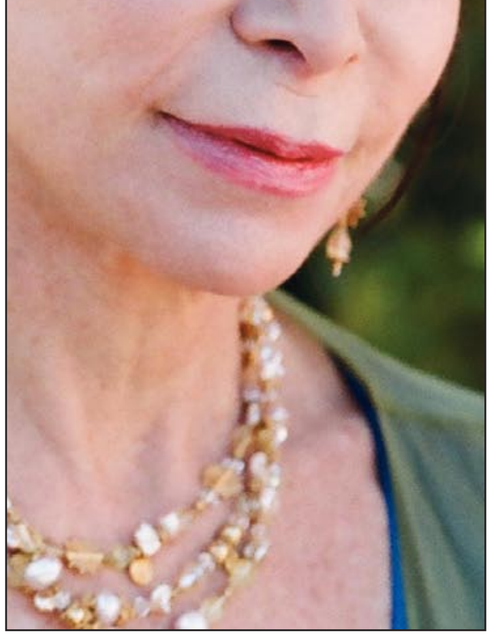

◀

وأنهما معاً ينتميان إلى (فرانزكافكا) في كوابيسه ومسوخه وقشعريرة جلده، دعونا نسمع صرختها على الصفحة ٩٥ من كتابها اللاّذع (بلدي المختَرع) (٣) وهي تقول: علينا أن نثبت لهم في كل مرة أننا (أحياء) حين نجتاز حدود البلاد، وأن يكون ذلك بالوثائق وليس برؤية وجوهنا ونحن أمامهم، كان اجتياز جدار برلين القديم اسهل بكثير، لقد كان كافكا من سانتياغو، كان تشيليا!

هناك رباط خفي مقدس يجمع العالم الثالث مهما كانت المسافات، وإذا ما كتبنا مذكراتنا أو حكينا للناس ذكرياتنا على شاطئ دجلة بصحبة الطناطل والسعلوات أو كتبوها هناك على صفحة البحر بين (المينوتورات) وبراغيث الماء، لما كان من الفروق بيننا غير أسماء وصفات ومزايا هي نفسها هناك تماماً ولا خلاف أو اختلاف إلاّ بنوع الحروف التي سنكتبها.

××

ترى من أفلت العنان لهذا الحصان الجامح الذي أسمه الحياة؟ أية قوة نحن بحاجة إليها حتى نتمكن من البقاء في هذا العالم الطاعن بالحرائق والأوجاع؟ ليل وثلج ورمال، تلك أشياء تصنع وطني النحيل وتعطيه شكله (كما يقول بابلونيرودا) كما أن للتماثيل حصتها في الشوارع والميادين ومواخير الضيعة ولها حصتها فوق الرؤوس، تمثال لكل مواطن حتى يتعلّم الإذعان والخوف والسكوت، وزيادة على ذلك يأتي الصيف الحارق والغبار ويكاريا مئات السنوات تحطّ علينا في وقت واحد، هناك في تشيلي كما هو في بغداد، أين كروم العنب وأين أشجار النخيل؟ ماذا حلّ بالتفاح والتمر والمشمش والبرتقال والليمون؟

لم يعد من شيء على طريق الساحل اللاّزوردي غير ثعابين البحر والسرطانات العنكبوتية وقنفذ الماء، بينما اختفى عن المائدة طعم السمك البراق والدجاج الحبشي، حتى الكلاب والفئران والقطط أصابها فقر الدم وصارت تحلم بوجبة عشاء دسمة، ولا شيء غير الجفاف وخطابات الساسة! مسكينة سانتياغو تشيلي، خمدت نارك منذ أن جاءك الجنرال بينوشيت واذرعي الطحين والحليب وعصير اللوز، ولم يعد من أحد في البيت غير ذاك الببغاء البليد الذي يكرر "عاش الرئيس" حتى مات جوعاً ورموه إلى المزبلة فاحتفلت بموته الكلاب التي طال جوعها!.

××

الفضيحة هي التسمية لكل ما صار إلى العالم، فضيحة الفقر المدقع موازاة الثراء الفاحش، فضيحة القمع موازاة حلم الديمقراطية الذي لن يتحقق، الجوع موازاة الكروش المحشوة بالسحت الحرام، الطفولة المستباحة موازاة الفرح الغامر بين (هنا) و(هناك).. إلى آخر مسلسل الفضائح الذي يحتاج إلى مجلّدات من الورق حتى نحكي عن جزء يسير من خروقاته ومثالبه وجرائمه الكبرى.

ما حدث من مفارقات موجعة، كان له تأثير على إيزابيل الليندي، مما جعلها تفكر بالعالم الذي تعيش فيه، وأين هو وطنها؟ هل تراه كاليفورنيا التي أحبتها وأصبحت بالتالي بلدها الواقعي، أم تشيلي وطنها الأم الذي خرجت منه تحت ضغط الديكتاتورية العسكرية المريعة؟

إنها تخترع البلاد التي تأنس إليها، والأرض كلها حجارة، وأول ذكرى لها عن تشيلي هي بيت لم تعرفه، هناك نافورة ماء وبستان تغطيه الأعشاب الضارة، تيارات هواء وعناكب وقبيلة من النساء العوانس، بيت قديم مسحور كانت تفوح منه رائحة البرتقال والياسمين، ثم روائح الزنزانات والجرذان، تشيلي بلد من خمسة عشر مليون نسمة، لكنه يحيا بعقلية قبلية كريهة (كما تقول هي نفسها عن الوطن الذي غادرته ولم تغدر به).

قلتُ ذات مرة بأنني أخاف إيزابيل الليندي، فقراءة ما تكتبه يجعلني . حقاً . في حالة من النشوة والسحر والدهشة والقشعريرة المزمنة، فهذه الكاتبة المبعدة ليست مجرد واحدة من نساء الأرض، إنها (مجرّة) تسبح في فضاء الجمال الغامض، ذلك الجمال الذي لا يكتشف من أول وهلة، بل يحتاج إلى اللمس بنهايات الأصابع، ويحتاج إلى معرفة الموسيقى، فهي عصيّة على الفهم المستعجل والمديح العابر، وكذلك أعمالها.

إيزابيل الليندي امرأة من تشيلي تمكنت أن تقول ما لا يقال، وبهذا تجاوزت (غابرييلا ميسترال) أول تشيلية فازت بجائزة نوبل عام ١٩٤٥ ومن المؤكد أنها ابتعدت شوطاً ليس بالقصير عن (سيجريد أندسيت) و(جراتسيا ديليدا) و(نادين غورديمر) وكلهن حصلن على بركات نوبل منذ سنين.

كان كشف المستور جناية يحاسبها قانون الكتابة والتأليف، وإذا كان المؤلف (امرأة) كان العقاب أكبر، وتمر أعوام التمرد، حتى صار كشف المستور (موضة) لكسب الدهشة والمال وإعجاب القراء، والذي يكتب أعماله في أوربا وأمريكا دون كشف لاذع للعيوب والخفايا والأسرار والموبقات لن يجد قارئاً يقتني كتابه سوى الشيوخ والطاعنين في التقاليد من عجائز القرن الماضي، وقد فعلت إيزابيل ما فعله أقرانها من تسويق الإثارة والجنس والممنوعات إلاّ أنها احترمت الخطوط الحمراء ولم تذهب إلى التجارة بمشاعر القراء بل اعتمدت على الحقائق (المثيرة) التي لا تخدش الحياء، ولم تعتمد على (إشارة) المخيّلة وجنوح التشويق من أجل مكاسب اجتماعية سرعان ما يكتشفها القارئ المتمرس.

تشتغل إيزابيل الليندي في كتاباتها على (المشكوك بأمره) وعلى ما هو باطني عسير المنال، ولهذا فهي تمسك بالقارئ من (عنقه) حتى نهاية الكتابة (كما تقول على الصفحة ١٢٣) وحتى إن كان القارئ مراوغاً ونكيداً، فهي تعرف ما ستفعله بعد الجزء التالي من الرواية، مع أنها ستعترف في صفحة أخرى بأنها ليست بهذا الذكاء وبتلك العبقرية حتى تتمكن من القراء جميعاً

××

نحن دائماً نفكر في شيء ما، لكننا نجد أنفسنا في آخر المطاف في مكان آخر، ذلك أن العالم في زاوية ونحن في زاوية، والدموع همٌ مشترك في الجزء الثالث من المهمات، دموع وآهات وخسائر، بينما خال إيزابيل الليندي يتحدّى المعقول ويخلع بنطاله في الشارع ليعطيه للفقراء، هو نفسه الذي قال (لا يوجد شيء أثقل من قديس) والذي ترك في وصيته أن يوارى بالتراب وأقا!

هذا الخال كان له أثر خفيّ كبير في حياة إيزابيل الليندي التي خرج والدها لشراء السجائر ولم يعد إلى البيت بعد ذلك مطلقاً، فقد تعلّمت منهما . والدها وخالها . أن المكان، أيّ مكان، ليس مقدساً بالضرورة، وكل شيء نفعله قد يكون نزوة، وكل نزوة ترتكبها قد تكون منزلاً نسكن فيه ورتاج إليه! لا أحد يدري شيئاً عن الفردوس الذي هو فيه حتى يغادره (مرغما) ذات ساعة من الزمن، تماماً كما (كان) يعيش الرومان بين التماثيل والنافورات والطعام الدسم اللذيذ من دون أن ينتبهوا لما هم عليه، ولا أحد يعرف النعمة التي هو فيها إلاّ حين يخسرها، وحين تأتي الشيخوخة سوف نأسف على الصبا الذي ضاع منا!

كان جدّها أغوستين قوياً وصلباً كمحارب برغم أنّه وُلد بساق أقصر من الأخرى، ومع مرور الزمن أصيب بالتهاب عصبي موجع جداً، لكنه تحمل أوجاعه بما يشبه المعجزة ولم يستشر أيّ طبيب، بل عالج نفسه بجرعات من حبوب الأسبرين، ومن هذا (الجد) تعلّمت إيزابيل مئات القصص والقصائد كما تعلّمت فن التأمل وحب تشيلي حيث قال لها: نحن نعيش في أكثر البلدان إيهاراً دون أن نقدّر ذلك.

أول ما قرأته عن بلادها منذ عشرات السنين، هو تأريخ القتل، عن الذين ماتوا من دون أية شكوى، مخوزقين على الرماح، ممزقين إلى أشلاء، مشدودين إلى أربعة أحصنة كل واحد منها يركض باتجاه مختلف، أو محروقين ببطء فوق صفحة من حديد، أين حدث كل هذا؟ هناك عراة في أرض جليدية لا ترحم وما من أحد يشعر بالسعادة غير الفقعة، لكن سانتياغو من دون ثلج ولا عراة، فأين جرى كل هذا؟ إنه ينمو في خيال جامح لا يكف عن مطاردة العجائب، ولعل أعجب ما في مخيلتها هو أن خيالها يحكي عن الحقيقة التي تجاوزت الخيال، وهذا ما يجمع تشيلي مع بغداد مرة ثانية.

××

يقول خبراء الزلازل والهزّات الأرضية إن تشيلي سوف تختفي عاجلاً أو آجلاً مطمورة في حمم بركانية أو مسحوبة إلى قاع البحر بواحدة من الموجات التي ترتفع عادة بهياج رهيب في المحيط الهادي، لكن إيزابيل ترجو على الصفحة ٤٤ ألا يفقد السيّاح حماسهم لزيارة المدينة!

إنها تتمتع بروح الفكاهة في أشد حالات الخوف والنكبات، وقد رأينا ذلك أيضاً في سيرتها الشخصية التي حكتها لنا قرب سرير ابنتها (باولا) ولعل أعذب ما في كتاباتها هو أنها لا تأسف على أيّ شيء، مطمئنة تماماً إلى أن الحياة ليست طويلة بما يكفي لذرف الدموع أو زيارة المقابر.

إيزابيل الليندي تكرر أنها قصيرة القامة وليست جميلة حتى يتحرّش بها أشباه ألفس بريسلي، وبرغم أنها لا تملك أنف "سيرانودي برجراك" فهي تنعت نفسها بالقبح نسبة إلى حوريات سانتياغو، وبرغم هذا كله فقد قصّت علينا الكثير من مغامراتها في محطات أوروبا وفي موانئ بلباريسيو وشواطئ البحر الأبيض، ويبدو أنها تشعر بالراحة حين تهجو نفسها، مع أن طولها هو نفسه الطول المعقول للنساء، وقد غازلها العشرات في شوارع تشيلي الخلفية وطاردها الكثير من الشبان وهم أصغر منها عمراً، لكنها على ما يبدو، تتخصرع لله أن تكون أجمل، والدليل أن روايتها جميعاً تحمل صورتها الحسناء وهي تبتسم.

مولعٌ أنا إلى ما وراء الدهشة بهذه المبدعة الخطيرة، وحدها التي أحرجتني أمام نفسي، وكادت بفرط إبداعها تمنعني من الكتابة، حين تفرض عليك أجواء لا تعرفها ولم تكشف بعد أسرارها، إذ ينبغي عليك أن تستسلم لهذا الهيجان الطاغي في سلوك أبطالها، وإن لم تفعل ضاع منك (الخيط والعصفور) كما تقول عراقياً حين نخسر كل شيء، وبالتالي عليك أن تكون في تمام وعيك وأنت تقرأ، لئلا يفلت من بين يديك المعنى أو تضيع من أمامك سطور التشابك والضم واللغز الذي اعتمدته إيزابيل في كافة أعمالها، فهي لا تكتب أبداً كلمة أو إشارة من دون سابق تصميم وإصرار على أنها ستعود إليها في مكان آخر من الرواية، تماماً كما في سينما هوليوود حين تشاهد (قطة) لا مكان لها في الشريط، إذا بها تصبح في مشهد آخر لولب حادث بعينه ومركز استقطاب مؤكد يعود بك إلى بداية الفيلم لتسأل نفسك عن مدى ذكاء المخرج أو كاتب السيناريو، وتأكد أن كل كلمة وكل سطر وكل صفحة في أعمال إيزابيل خاضع لرقابتها وسلطة وعيها في أنها لن تنسى أبداً ما كتبته في مكان ما من رواياتها، وهذا سيبدو أكثر وضوحاً في رواية (صورة عتيقة) التي وصلت بها إلى ذروة اجتهادها في المشغل الروائي الصعب.

هذه المرأة ليست مجرد واحدة من نساء الأرض، إنها (مجرة) تسبح في فضاء الإبداع اللاّمتناهي، وليس من السهل اكتشافها بالعين المجردة أو التلسكوب، فهي عصيّة على الفهم الساذج، وقد أكون عاجزاً عن فك لغزها الذهبي الطافر العنيد، لكنني تمكنت . وهذا أضعف الإيمان . أن أقرأ كل ما كتبته من روايات ومذكرات شخصية، ورأيت في ذلك بعض عزائي في الوصول إلى أسوار قلاعها، مع أنها قلاع حصينة مغلقة أمام القراء مهما كان حجم محبتهم وإعجابهم بها.

هناك إشارة لا تخف على امتداد أعمالها، فهي تأخذ إلى عمق البحر دفعة واحدة، وفي كل مرة تفكر فيها أن تخرج صوب الشاطئ تراها تغريك بالغوص ثانية إلى هناك، وأعتقد جازماً أن الرواية العظيمة هي التي تجرجرك إلى نهايتها كما العبد المقيّد بسلاسل إثارتها، حتى إذا ما وصلت آخر سطر فيها، ستري نفسك أكثر رغبة في عبودية ثانية مع رواية أخرى تمد يديك طواعية لقيودها والغوص من جديد إلى أعماق البحر.

سأقول بهدوء: ربما تمنيت الزواج (رسمياً) بهذه المبدعة المخبولة، حتى أشعر بسلطة الرجولة عليها، وبالتالي أستفيد من عبقريتها في تأليف العجائب، لكنها هي التي تزوجتني (سراً) وفرضت أنوثتها وسطوتها على فحولتي وكتاباتي وصرت بين ليلة وضحاها أسير عبقريتها وجنونها ونفوذ سلطانها على كتاباتي، وسأعترف أن كل ما كتبته ونشرته وتباهيت به طوال حياتي لا يساوي بيت أشباحها ولا ابنة حظها أو حبها وظلالها أو صورتها العتيقة أو خطتها الأنهائية في تدمير كاتب عربي مسكين مثلي!

أعتقد أن إيزابيل الليندي امرأة من تشيلي تمكنت من أن تقول ما لا يقال، وأظن أيضاً أن الحياة يمكنها أن تكون ممكنة وصالحة للعيش بشرط أن نرى ونقرأ ما تكتبه امرأة لها كل هذا الحضور الباهر، وأنا شخصياً لا أمنح نفسي من الاعتراف بأنني أخاف إيزابيل الليندي، وكم أتمنّى وأحلم وأنتظر لو أن امرأة مثلها إنها واحدة من أخطر بُناة العالم حقاً.

(١) باولا. إيزابيل الليندي. دار جفرا للدراسات والنشر. ترجمة صالح علماني. حمص. سوريا. عام ١٩٩٦.

(٢) ابنة الحظ. إيزابيل الليندي. ترجمة صالح علماني. منشورات المدى. دمشق. سوريا ٢٠٠٠.

(٣) بلدي المخترع. إيزابيل الليندي. ترجمة رفعت عطفة. منشورات ورد. دمشق ٢٠٠٤.

م يعد من شيء على طريق الساحل اللاّزوردي غير ثعابين البحر والسرطانات العنكبوتية وقنفذ الماء، بينما اختفى عن المائدة طعم السمك البراق والدجاج الحبشي، حتى الكلاب والفئران والقطط أصابها فقر الدم وصارت تحلم بوجبة عشاء دسمة، ولا شيء غير الجفاف وخطابات الساسة! مسكينة سانتياغو تشيلي، خمدت نارك منذ أن جاءك الجنرال بينوشيت وانزوى الطحين والحليب وعصير اللوز، ولم يعد من أحد في البيت غير ذاك الببغاء البليد الذي يكرر "عاش الرئيس" حتى مات جوعاً ورموه إلى المزبلة فاحتفلت بموته الكلاب التي طال جوعها!.

عن / كتاب سوق السراي - قراءات تأليف: عبد الستار الناصر

هدية حسين×

إنها رواية الثعلب زورو آخر ما أبدعت ايزابيل الليندي من كتاباتها التي تنتمي الى الواقعية السحرية.ترجمة رفعت عطفة ، والتي صدرت عن دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع في دمشق 2007 بعنوان "زورو وتبدأ الأسطورة" . حين جاءها ورشة زورو بصندوق يحتوي على ما تبقى من مقتنياته التي تمثل بعض تاريخه .طالبين منها كتابة رواية عنه، لم تعتقد ايزابيل الليندي بأنها ستحقق لهم هذه الأمنية ،فقد اعتادت هذه المرأة أن تكتب رواياتها دون طلب من أحد. تركوا الصندوق لديها وذهبوا لعلها تغير رأيها ، وعندما تصفحت تلك التذكارات والذكريات والمقتنيات وجدت نفسها تنحاز الى حكاية هذا الرجل الذي يدعى(ديبغو د لابغا) التي تبدأ في عام 1790 في كاليفورنيا العليا وهو نفسه زورو الذي كنا نظن بأنه شخصية خيالية.

ايزابيل الليندي وزورو

وكما هي عادة ايزابيل الليندي فإنها تكتب بعد أن تلم بتاريخ الفترة التي عاشت فيها كل شخصية من شخصياتها بكل ما تحفل به من تناقضات وصراعات واضطرابات وقصص عشق وحروب ومغامرات أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة.

زورو الرجل الأسطورة يتحوّل بين أصابع ايزابيل الليندي الى حياة تتجاوز الأسطورة،حين تصبح تلك الشخصية عن نفسها بعد أن ظلت على مدى سنوات سرية وغامضة.

تقول ايزابيل الليندي في مقدمة الرواية (هذه هي قصة ديبغو د لابغا وكيف تحول الى الثعلب – زورو – الأسطوري ،أخيراً أستطيع أن أكشف عن هويته التي أبقينا عليها في السر سنوات كثيرة،وأقوم بهذا بشيء من التردد لأن صفحة بيضاء تخيفني مثلما تخيفني سيوف رجال مونكادا المجردة من أغمادها ، بهذه الصفحات أحاول أن أستبق أولئك الذين يصرون على تشويه سمعة زورو... عليّ أن أروي هذه المغامرات لأنه لا يفيد كثيراً أن يغامر ديبغو بحياته من أجل العدالة إنْ لم يسمع به أحد) ص٧ .

تبدأ ايزابيل الليندي الرواية منذ ولادة ديبغو د لابغا،وهي الفترة ذاتها التي بدأت بها الحملات التبشيرية لتلك المناطق الغنية بالموارد الطبيعية، مناطق الهنود الحمر الذين لا يعرفون عن الدين المسيحي أي شيء، ولا يعرفون أيضاً سبب أن يقوم الأجانب بغزو علم في الأرض، ورسم خطوط متخيلة، ثم يعلنوها ملكية لهم،إذ إن فكرة امتلاك الأرض بالنسبة لهم شيء لا يُصدق، يصفونه كمن يقتسم البحر.

ولكن المبشرين بزعامة القس مندوثا واصلوا مهمتهم من دون كلل ودونما تصوّر بأن قبائل المناطق تلك ستهاجمهم .. الهجوم وقع إذن، وهذا يعني أن سلسلة من المعارك ستقع .. جاءت الأخبار للقس مندوثا بأن(بطلا ممسوساً بروح ذئب طلع من عمق الغابة وتمكن من جمع عدة قبائل لطرد الأسبان من أرض أجدادهم التي طالما اصطادوا فيها دون إذن من أحد) بل حتى الذين اعتنقوا المسيحية من الهنود لم يغامروا بحرب ضد أبناء قومهم،لذلك طلب القس المعتمد العاجلة من النقيب اليخاندرو د لابغا ،وهو كما تقدمه لنا ايزابيل على الصفحة ١٤(يقارب الثلاثين من عمره وكان جنديا محنكا صقلته حروب إيطاليا التي عاد منها موشوماً بندب يفتخر بها.. كان الابن الثالث لعائلة نبيلة.. قاتل أسلافهُ المسلمين تحت رايات ايزابيل وفرناندو الكاثوليكية ،لكن لم تبقِ لهم من كل تلك الشجاعة المتغنى بها والدم المراق من أجل إسبانيا من ثروة غير الشرف،وعند موت الأب ورث الابن البكر بيت العائلة .. الابن الثاني طالبت به الكنيسة وكان من نصيبه هو أن يصبح جندياً،لم يكن هناك من مستقبل آخر لفتى من دمه .. تلقى ثمناً لشجاعته التي برهن عليها في ايطاليا،كيساً من الدوبلونات الذهبية وترخيصاً بالذهاب الى العالم الجديد ليحسّن مستقبله)وسنعرف فيما بعد بأنه هو الذي سيصبح والد زورو .

كانت رسائل المبشرين الى مدير البعثات التبشيرية في المكسيك تتضمن الشكوى مما يروه من عادات وطقوس لدى الهنود الذين يفضلون العيش عراة في أكواخ من القش،مسلحين بالأقواس والسهام ، و بلا تربية ولا حكومة ولا دين ،غارقين في إشباع شهواتهم المخجلة.. ويفسر المبشرون بأن هذه العادات هي من عمل الشيطان .

على جانب آخر تكشف لنا الرواية بأن القس مندوثا كان في شبابه قد مر بمرحلة خليعة قبل أن يصبح راهباً ، ولذلك كان يتعاطف أحياناً مع السكان الأصليين،ولم يكن متعنتاً مثل الآخرين.

في مثل تلك الأجواء بدأت أولى الحروب..

فقد هاجم الهنود بعثة المبشرين، يتقدمهم زعيمهم المقنع ،وأحرقوا أماكن البعثة وأحرقوا الأكواخ وأمطروا الكنيسة بوابل السهام ثم حاصروها .. ولكن المدافعين عنها بزعامة النقيب اليخاندرو هزموا الهنود وسقط زعيمهم المقنع جريحاً ، وتبين بعد إزاحة القناع بأنه امرأة تدعى تويوورنيا ، في العشرين من العمر تحيطها أسطورة يتداولها الهنود بأنها تتحول الى ذئب ويمكنها الهرب من كل مكان تكون فيه ولذلك ، حين سقطت أسيرة ثبتت بالسيوز الجلدية الى السرير الذي تستخدمه ، وأراد القس مندوثا أن ينفذ فيها حكم الإعدام ،غير أن النقيب رفض،وأمام إصرارالإثنين اقترح النقيب أن يأخذ برأي الحاكم الذي سيقرر مصيرها.. وحاول النقيب حين التقى الحاكم أن يؤثر عليه ويقنعه بأنها تحمل دماً أسبانياً .. بينما كان السبب الحقيقي هو إعجاب النقيب بهذه الشابة الخلاّسية .. وهكذا أنقذت من عقوبة الإعدام الى السجن، وجاء بها النقيب الى بيت الحاكم وتعهدت زوجة الحاكم أن تحولها الى سيدة مسيحية ، وخُلع عليها اسم رخينا .. ومرت ثلاث سنوات قبل أن يلتقيها النقيب في حفلة أقامها الحاكم في بيته ، وهناك طلبها النقيب للزواج مضحياً بنسبه النقي .

هذه الشابة هي التي ستصبح والدة زورو، فقد جاء بعد ولادة عسيرة قضت الأم فيها خمسين ساعة في الطلق.. جاء الطفل الذي سمي ديبغو د لابغا، والذي سيصبح زورو، أي ، الذئب ، ولم تلد رخينا بعده ولداً.

ومنذ الصغر تعلم ديبغو المبارزة وركوب الخيل دون سرج واستخدام السوط والحبل والغوص في البحر وملاحقة الفريسة حتى اصطيادها وتحمّل الألم دون شكوى .. وسيمر بمصاعب كثيرة ولكن الثعلب سينقذه وهو دليله الروحي كما تقول جدته وتطلب منه أن يتعلم مهارة الثعلب في الدهاء والذكاء والاختباء، ولذلك سمي بالثعلب.

حتى الصفحة ١٠٤ كانت ايزابيل الليندي قد روت طفولة زورو، وفي الفصل الثاني المعنون(برشلونة ١٨١٠ – ١٨١٢) تقول ايزابيل في بدايته بأن ما هو قادم أهم من السابق ، ذلك أنها فيما روت كانت قد تناولت مرحلة الطفولة التي تصفها بأنها بائسة ومليئة بالمخاوف التي لا أساس لها.

في هذا الفصل يكون عمر زورو خمس عشرة سنة عاشها من دون رذائل ولا فضائل كبيرة .. سيزداد أعداؤه وكذلك المعجبون به وخصوصاً من الفتيات ويتملكه الزهو، لكن ايزابيل لا تريد – كما تقول – أن تستبق الأمور،ستأخذنا على مهل موضحة جميع الأدوار التي مرت بالفتى لتبين فيما بعد كيف أصبح بطلاً أسطورياً.

وفي هذا الفصل أيضاً تؤكد ايزابيل بأنها تعرفت على بطلها ديبغو الذي أرسله والده للدراسة في برشلونة بصحبة برناردو ، رفيق طفولته، وأخيه في الرضاعة ، وهو ابن أنا التي أرسلها القس الى رخينا ، وكانت حاملاً وترفض أن تعترف باسم من أغواها،عاشت في بيت رخينا وولدت ابنها برناردو في اليوم الذي وكعادتها ايزابيل الليندي لا تترك صغيرة إلا وتمر عليها لتوضح أدق التفاصيل في الرحلة التي قام بها زورو وبرناردو الى بنما أولاً ، أبخرة نباتات الأدغال المتعفنة ووحول الأنهار التي تتسبب في الأوبئة ، الارتفاع الجهنمي للحرارة، وأهم الأطعمة الشعبية فيها .. ثم يواصل الشابان رحلتهما ويمران بمدن أخرى تفرد ايزابيل خارطتها أمامنا بكل ما تمتاز به، وتحكي عن كل ما يتعلمانه أثناء تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر، ولم يفتها قط أن تطعّم رواياتها بالحكايات الخرافية على لسان شخصياتها ،كحكاية الموتى الذين قضوا في هجمات القراصنة لأتراك وأرواحهم التي تستقر في قاع البحر ولا تهتدي،والأخطبوطات العملاقة التي تدمر السفن، والمسوخ ذات الأذرع المميتة التي تبدو على شكل فتيات شبقات ، وحكايات أخرى أكثر رعباً .

وبعد سلسلة من المتاعب تصل السفينة الى برشلونة لنجد صديق زورو وبرناردو في بيت السيد توماس صديق والد زورو، وله بنتان هما خوليانا التي سيقع زورو في غرامها منذ اليوم الأول، وهي فتاة جميلة ونكية ، وايزابيلا التي كانت تعاني من انحراف في إحدى عينيها.. وفي الوقت الذي بدأت فيه مشاعر زورو تتعمق نحو خوليانا كان هناك من ينافسه على قلبها ،وهو شاب وسيم يدعى رافائيل مونكادا وستقودنا ايزابيل الليندي الى الصراع الخفي بين الاثنين من أجل كسب ود خوليانا ، ويصل الأمر حد المواجهة والمبارزة ، ثم تدخل أغنس صديقة خوليانا هذه اللعبة،فقد أحبت زورو وحاولت استمالته من دون أن تجد لها صدى في نفسه على الرغم من أنها فتاة رقيقة وحيوية .

وتمضي بنا ايزابيل الليندي الى تفاصيل كثيرة وحكايات تتعلق بالغجر وشعبهم الذي تاه منذ أزمنة بعيدة وكيف وصل البعض منهم الى أسبانيا وعاشوا حياة التشرد ، تتكشف حكاياتهم من خلال العلاقة التي ربطت بين برناردو والغجر عندما أنقذ برناردو قارئة الطالع ،الغجرية أماليا التي حاول أحدهم الاعتداء عليها أمام إحدى الحانات.

وسيحل الفصل الثالث(برشلونة ١٨١٢ – ١٨١٤) الذي يبدأ بالعلاقة الجسدية التي ربطت بين زورو وأماليا دون أن ينسى التفكير بخوليانا ، وهناك تفاصيل خفية في شخصية زورو تكشفها لنا الكاتبة تتعلق بالنساء اللواتي يقيم معهن علاقات جسدية ، فهو لايتذكر إلا أن نلهث وراء الصفحة ٤٣٠ .لقد عملت الكاتبة على فضح أسرار زورو بعد أن نزعت قناعه وكشفت فضائله ورذائله واندفاعه وجموح روحه التي ظلت تطوف في مخيلتنا منذ عشرات السنين.

×روائية عراقية مقيمة في كندا

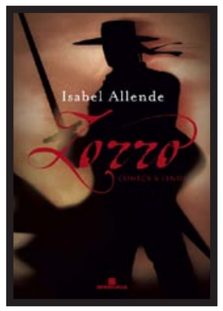

في عام 1812 هُزم نابليون في روسيا بعد ما تقدم جيشه نحو الداخل الروسي ، إذ لم يجد السكان والفلاحون أمام هذا الزحف إلا أن يحرقوا محاصيلهم وممتلكاتهم لكي لا يستفيد منها المحتل .. هذا التاريخ تأتي عليه ايزابيل وتعرضه بطقسه البارد ومرارته القاسية والجوع الذي عمّ بين الجنود ثم انسحاب الجيش وما تبع ذلك من تغير في الوضع السياسي الاسباني .. وفي هذه الأجواء تستمر حكاية الأسطورة الذي تقدم كثيراً في دراسته ولم يتقدم في كسب ود خوليانا .. كما تستمر ملاحقة الجيش الفرنسي للغجر الذين يجدون في زورو مسانداً قوياً لهم .. ولن تكف ايزابيل الليندي عن سرد المزيد من مغامراته المثيرة.

هذه هي باختصار رواية(زورو.. وتبدأ الأسطورة) لإيزابيل الليندي التي تحكي قصة حياة استثنائية لمغامر عاش في زمن الفروسية .. تناولتها ايزابيل الليندي بأسلوب ساخر وبمزيد من التشويق والإثارة منذ الصفحة الأولى وحتى الصفحة ٤٣٠ .لقد عملت الكاتبة على فضح أسرار زورو بعد أن نزعت قناعه وكشفت فضائله ورذائله واندفاعه وجموح روحه التي ظلت تطوف في مخيلتنا منذ عشرات السنين.

×روائية عراقية مقيمة في كندا

إيزابيل الليندي تكشف أسرار أسرتها

سعد محمد رحيم

في كتاب (حصيلة الأيام)× تصنع إيزابيل الليندي أرشيفاً لأسرتها.. تعرض الشخصيات، ترسمها بدقة وبراعة وتنبش أسرارها.. تعرّيها حتى لتبدو للقارئ/ الناظر نابضة، حية، تتقلب في خضم الحياة، وتندفع نحو مصائرها برغبتها أو بالرغم منها. هذا كتاب مذكرات كما تعرّفه على الغلاف، أقرب ما يكون إلى اليوميات أحياناً. لكنه، في النهاية، مقطع عريض من سيرتها الذاتية: مشاهد وحوادث جرت في سنوات التسعينيات من القرن الماضي، والنصف الأول من القرن الجديد. وهي (إيزابيل) في القلب منها، أي في عالمها العائلي الخاص حيث هاجس وجود الأسرة موروثاً في جيناتها اللاتينية يفرض عليها أن تحرص على الإبقاء على حرارة علاقاتها مع المحيطين بها، سواء كانوا من نسلها، أو من نسل زوجها الأميركي (ويللي) أو من الآخرين الذين ربطوا حيواتهم وأقدارهم مع حياة وقدر تلك الأسرة، مؤقتاً، أو بشكل دائم.

وإيزابيل تتحدث عن الأسرة بحميمية وحب وشغف كما لو أنها إزاء شيء لا يقدّر بثمن، ينطوي على معنى الوجود ذاته، لكنه ويا للأسف، هش وزلق وقابل للتبدل والتفكك، للامتداد والانحسار.. وباختصار فالأسرة التي تكتب عنها تبدو في عرفها وكأنها مركز العالم وأساسه، إن انهارت انهار كل شيء بعد ذلك.

تبدأ إيزابيل كتابها بمناورة، بحيلة دفاعية (إن كان لنا أن نستعير هذا الاصطلاح من قاموس علم النفس) ومؤداها أنها رضخت، كما تقول، لإصرار ناشرتها (كارمن بالثيس) في أن تستأنف كتابة مذكراتها؛

– اكتبي مذكراتك يا إيزابيل.

– لقد كتبتها، ألا تتذكرين؟

– تلك كانت منذ ثلاث عشرة سنة.

– أسرتي لا تحب أن ترى نفسها معروضة على الملأ يا كارمن.

– لا تهتمي بشيء. ارسلي لي رسالة من مئتين أو ثلاثمئة صفحة وأنا سأتولى ما سوى ذلك. وإذا كان لا بد من الاختيار بين كتابة قصة أو إغضاب الأقارب، فإن أي كاتب محترف سيختار الخيار الأول.

.أأنت متأكدة؟

.متأكدة تماماً".

وتخبرنا إيزابيل أنها تشرع بكتابة أي كتاب في الثامن من كانون الثاني، ودائما في هذا التاريخ. وهذه، لا شك، تدرج من ضمن شطحات الكتاب، ونزواتهم الغريبة.

إن المخاطب (بفتح الطاء) المروي له في هذا الكتاب ليس سوى (باولا) ابنتها الشابة التي فقدتها على إثر مرض مفاجئ، ولذا فهشهد إحراق جثمانها ونثر رماده في النهر هو أول ما تقدمه لنا الأم المفجوعة. ومن ثم تبدأ بسرد تفاصيل ما حدث للأسرة بعد وفاة باولا أواخر ١٩٩٢. وتكمل إيزابيل مناورتها/ حيلتها الدفاعية بالتأكيد على أنها تكتب عن أخبار الأسرة لأن هذا هو ما يهم باولا. وبهذا كانت إيزابيل الليندي وفية لنصيحة كبار الكتّاب الذين يشيرون إلى ضرورة أن يكتب الكاتب عمّا يعرفه جيدا. وماذا يعرف المرء أكثر من معرفته لذاته وتاريخ أسرته (إذا كان عائشا بين أفرادها مدة طويلة)؟ ولذا فإن أغلب كتبها تحكي عن تاريخ أقاربها وأصدقائها، وممن كانوا في حدود الدائرة الضيقة لجغرافية حياتها. وحتى فيما تتخيل فهي إنما تستمد روح شخصياتها وحكاياتها ممن عاشت معهم، أو اطلاع على أسرارهم عن كثب. وها هي تستهل كتابها بهذه العبارة الموحية؛ "لا تقتفر حياتي إلى الدراما، لدي فائض من مواد السيرك للكتابة عنها. وفي مكان آخر تقول "وقد تواصلت الميلودراما العائلية، لحسن الحظ، وإلاّ عن أية شياطين كنت سأكتب".. إنه، إذن، تيار متدفق من الحيوات الضاجة الصاخبة، الحرة والعابثة، حيث تتناغم الأرواح أو تتنافر، وحيث تتقاطع الإرادات أو تتنازر، وحيث تقود الجهود والحظوظ كلا إلى مصيره.

وإذ تطغى الرتابة على بعض فصول الكتاب ولاسيما في الربع الأول منه فإنه لا يخلو من مواقف مثيرة وممتعة. وفي النهاية نجد الكاتبة تصوغ لنا مشهداً بانورامياً واسعاً عن حياتها وحيوات المحيطين بها. فضلاً عن تسجيلها لرؤية إزاء الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة إبان الفاصلة الزمنية التي تتحدث عنها والتي تمتد لعقد وبضع سنين. وهكذا تفصح عن آرائها في مسائل شتى مثل علاقات الحب والزواج والجنس والشذوذ الجنسي والطلاق والصداقة والانضمام إلى الجمعيات. وقد انضمت هي نفسها إلى جمعية/ حلقة تسمى (أخوات الفوضى الدائمة) حيث تتبادل العضوات الأسرار والتجارب بعضهن مع بعض، وتكون كل واحدة شاهدة على حياة قريناتها إذ يتواصلن بشكل يومي عبر البريد الألكتروني.

وأروع ما في الكتاب هو تصوير الكاتبة للشخصيات التي عرفتها عن قرب والتي تكتب عنها (على الرغم من عظم أخطاء وانحرافات بعضها) بكثير من التعاطف والتفهم. حتى غضبها سرعان ما يتكسر عند حواف طبيعتها وميلها إلى التسامح والغفران. وسأقتصر في الحديث عن شخصيات الكتاب على (سيليا) زوجة ابنها (نيكو). فمع أول لقاء بها "كانت خلال أقل من نصف ساعة قد طرحت علينا قناعاتها حول الأعراق الدنيا واليساريين والملحدين، والفنانين، والشاذين جنسيا، وبأنهم جميعاً فاسدون ومنحطون".. إنها في الخامسة والعشرين، تتحدر من عائلة تشيلية متزمتة، ترى في إيزابيل الليندي "تشيلية مطلقة، ملحدة، شيوعية، ومؤلفة كتب تحضرها الكنيسة". غير أن سيليا تمتلك بالمقابل روحاً مرحة متهكمة، وصوتها مؤثر، تغني وتعزف على الجيتار. وتبدأ بينهما (إيزابيل وسيليا) الخلافات كأية حماة وكنة. غير أن ولادة أول طفل لها كانت مناسبة لتجاهل بذرة الخلاف. ولسيليا قوة شخصية عجيبة.. عنيدة وصريحة ومتمردة منذ طفولتها على السلطة الذكورية. وحين تكتشف أن لها ميولاً سحاقية تهجر زوجها وتقترن بفتاة اسمها سالي. وقد شكل الأمر، لأول وهلة، صدمة كبيرة للأسرة، لكن علاقة إيزابيل بها لم تنقطع. ربما من أجل أطفالها الثلاثة الذين باتوا يتناوبون العيش بين أسرتين.

تقر إيزابيل أنها لا تمتلك السلطة الأخلاقية لمحاكمة أحد "فقد اقترفت في حياتي الكثير من الحماقات بسبب الحب، ومن يدري إذا ما كنت سأقترف حماقة أخرى قبل أن أموت". ومثلما قال لها زوجها (ويللي) فإن "ما يؤذينا ليس الحقيقة المكشوفة، وإنما الأسرار". وهذه مقولة أمنت بها أخيراً. وكانت ترى أسرتها في لحظات معينة؛ منحطة بسبب أخطاء وخطايا وانحرافات بعض أفرادها، غير أن الزوج المحامي أقنعها بالقول "أنت لا تعرفين ما الذي يجري وراء الأبواب المغلقة عند أسر أخرى. والفرق أن كل شيء في أسرتنا تظهر إلى العلن".

ولأن المخاطبة (بفتح الطاء) المروي لها هي امرأة متوفاة (ابنتها باولا) فإن مسحة من الحزن الشفيف تتخلل عباراتها صفحة بعد أخرى تضفي عليها غلالة شاعرية متواضعة تأسر القارئ: إن طيف باولا يتنقل بين الصفحات ناعماً خفيفاً يغلّف السرد بالرهبة والغموض.

ومنذ كتابها الأول (بيت الأرواح) نراها مغرمة بعالم الماورائيات بما هو معجز وسحري. تقول؛ "الغموض السحري ليس وسيلة أدبية، ليس ملحاً وبهاراً لكتابي، مثلما يتهمني أعدائي، وإنما هو جزء من الحياة نفسها". وهي تؤمن عن يقين كما تؤكد؛ "بأننا أرواح، وبأن ما هو مادي ليس إلا وهماً، وأنه شيء لا يمكن إثباته عقلانياً". وبهذا فهي تنتمي إلى تلك الكوكبة العظيمة من كتّاب أميركا اللاتينية الذين تُطلق على مدرستهم تسمية (الواقعية السحرية)، وهي تعتقد أن حيوانها الطوطمي هو النسر "هذا الطائر الذي يطفو في رؤاي ناظراً من علو شاهق. وهذا العلو الشاهق هو الذي يتيح لي رواية القصص، لأني أتمكن من رؤية الزوايا والآفاق.. يبدو لي أنني وُلدت لأروي وأروي". والعبارة الأخيرة تذكرنا بكتاب السيرة الذاتية الذي كتبه غابريل غارسيا ماركيز والمعنون (عشت لأروي). وتتبّل (من التوابل) الكاتبة مذكراتها بقدر من الفكاهة، وروح السخرية والتهكم. وهذا ما يُخرج المذكرات هذه من أجوائها الكئيبة التي تفرضها طبيعتها وهي كونها كلاماً موجهاً إلى إنسانة عزيزة متوفاة. فالكاتبة تعرف كيف تجعلنا (نحن القراء) نتأسى حيناً ونكتئب حيناً وتنشرح صدورنا حيناً، ونضحك حيناً".

وباستطاعة قارئ الكتاب الإطلاع على طقوس الكتابة الخاصة بإيزابيل الليندي، فناهيك عن شروعها بكتابة أي كتاب بتاريخ محدد هو الثامن من كانون الثاني، فإنها تهيئ نفسها ومكتبها بالشكل الذي يلائم مزاجها ويجعل فعل الكتابة لديها سلساً وممكناً. فمع كل كتاب جديد تنظف كوخها الخاص تنظيفاً جيداً وتهوّيه، وتستبدل شموع المذبح، ولا تبقي على الرفوف التي تغطي الجدران سوى الطبعات الأولى لكتبها، وصور الأحياء والأموات الذين يرافقونها على الدوام. وتتخلص من كل ما يمكن أن يشوش إلهامها، وتستذكر ما كانت تقوله جدتها من "أن الفضاء ممتلئ بالحضورات... وفي هذا الجو الشفاف تسكن شخصياتي، ولكنني لا أستطيع سماعها إلاّ وأنا صامتة. وفي منتصف الكتاب، عندما لا أعود أنا، المرأة، وإنما أصير أخرى، الراوية، أتمكن من رؤيتهم (الكائنات التي تحملها في داخلها) أيضاً".

إن المرء بحاجة إلى دفق من الشجاعة لكي يعرض في النور والهواء الطلق هذا الكم من تفاصيل حياة الأسرة (الحب والخيانة والفشل والنجاح والشذوذ والإدمان على المخدرات والتبذير وتدمير الذات). مع التقاط لحظات الفرح والحزن والإحباط والغضب واليأس والرغبة بلغة تبتعد عن المواربة والنفاق الاجتماعي والتفنج. هذه اللغة التي لابد أن تكون كاتبة من طراز (إيزابيل الليندي) قادرة على إبداعها.

×"حصيلة الأيام.. مذكرات إيزابيل الليندي.. ترجمة؛ صالح علماني.. دار المدى للثقافة والنشر/ دمشق ط1/ 2008.

رواية الحب والظلال

ايزابيل الليندي رؤيا في دهاليز

حينما شرعت بقراءة رواية الحب والظلال للروائية التشيلية ايزابيل الليندي تلك الجغرافية الممتدة من اول الصفحات الى آخر العبارات الساطعة وهي تلفظ النهايات الاخيرة، في رواياتها تلمست حرارة التضاريس تلك التي تخلقها الكتابة بقوة الوعي وانثيالاته (وعلى ضوء الفجر الذهبي توقفا لينظرا الى ارض وطنهما للمرة الاخيرة فهمست ايدين: هل سنعود؟ ورد فرانشيسكو: سنعود) وتختتم ايزابيل الليندي رواياتها تلك بنفس الرؤية المعبأة بمديات بعيدة لكنها تحمل امالا اكثر اشراقا تستنطق الحياة فنعتقد نحن بيقين ان لكل مأساة نهاية وهي بالتأكيد تخلف وراءها آلاما مبرحة لكنها لا تقضي على الشعوب.

رياض الفهد

مع اوباما

وهي كما تصور لنا ان السنوات التالية ستحسم مصير عودتنا بمفردات تكررها في نهاية الرواية بأستمرار سنعود.. سنعود.. هكذا تنهي رواياتها فتضعنا امام مفترق التأويلات المرسومة بعناية فائقة وحبكة ساحرة تستقيها من رؤيا فيها الجرأة والقدرة على ادارة نصها الروائي بعقلية مبصرة وهي تغدو على خطى ادباء امريكا اللاتينية من امثال غابريل غارسيا ماركيز او اوستارياس وغيرهم في التحليق مع تيار الواقعية السحرية الذي طبع بصماته في الرواية الامريكية اللاتينية. لقد ظهرت الليندي في دنيا الادب فجأة لتخلق عاصفة من الاقاويل والاحاديث فبعد صدور رواياتها الاولى (بيت الارواح) عام ١٩٨٢ تصبح اليوم بعد صدور ثلاث روايات لها واخرها ايفالونا عام ١٩٨٧ مع مجموعة قصصية في الصف الاول من الروائيين الناطقين بلغة سيرفانتس. وقد صرحت ايزابيل في احد لقاءاتها وهي من مواليد ١٩٤٢ لقد دخلت عالم الادب بشكل مفاجئ وفي سن قد لا تطمح له نساء اخريات ثم تعلق في عبارة لاحقة لقد اقتحمت عالم الكتاب اقتحاما وفوجئت بالصدى الذي اثارته كتبي لأني لم اكن اتوقعه لقد صورت الكاتبة وقائع لجريمة سياسية وقصة تضامن انساني حصلت ايام الحكم الديكتاتوري في شيلي وكأنها مشاهد مقاربة لحوادث حصلت في العراق ايام الجنرالات الموسومين بالعتمة والموت الابدي لقد رسمت عالما من الحب والامل في مواجهة عالم آخر من العنف والحقد كل ذلك في اجواء سحرية تضيع فيها الحدود بين الواقع والخيال لتشكل في نهاية المطاف عملا ادبيا رائعا مفعما بالحيوية وهي محاولة جادة من الكاتبة ايزابيل الليندي لتسجل لنا شهادة تاريخية مأساوية ضد النظم الاستبدادية صاحبة لعبة قتل الخصوم بشكل جماعي ودفنهم في اماكن سرية تلغى فيها حتى بصمات الجريمة وفق نظرية اجتثاث جذور الصيرورة الانسانية على ايدلوجية القمع والحقد لكل ما يتقاطع معها. وتمضي الروائية التشيلية في تلقين ابطال رواياتها على ان يكونوا قادرين على ابراز رؤيتها الفكرية بمنظور سياسي صريح دون مواربه او تردد لأنها تعتقد ان القضية تدخل في اطار الاخلاق وقيم احترام الانسان لأخيه الانسان وتعميم ثقافة التعددية بديلا عن ثقافة النظرة الاحادية التي تعاقب على ممارستها معتنوقو المذهب المنحرف لفصيلة بشرية خدمها الحظ لتكون حاكمه مستبده والذين ما زال هناك منهم بقايا يعملون على انعاشه وايحائه انها توصيف لرؤيا متكاملة وضعتها الكاتبة في دهاليز حكايتها هذه تدعو الشعوب كافة الى اعتماد الخيارات المختلفة خلفا لهؤلاء المؤمنين بالقتل والاطاحة بالاخر .. لقد كان عام ١٩٧٩ وفي بلدة لونكين على بعد ستين كيلو مترا من العاصمة التشيلية سانتياغو حيث تم اكتشاف مدفن سري في مخيم مهجور اخفى فيه رجال السلطة جثث خمسة عشر فلاحا من اهالي المنطقة وهي وقائع لجريمة السلطة الجائرة عندما تمارس فنون القتل المجاني الخارج عن قانون الطبيعة والسماء من هنا انطلقت ايزابيل الليندي في منابع اعتقادها لألتقاط المفاهيم السائدة المهيمنة آنذاك وكشف الجوانب الفاقدة للنور لتحل محلها رؤيا مضيئة وهي ان زوال الهلوسة والعبث بالانسان لا يمكن ان تكون ضمن قوانين سائدة في عالمنا الانساني وهي في النهاية تفضح العوالم السفلية التي يختفي وراءها الحكام المستبدون العابثون بالمصير الانساني والسؤال الذي يبقى مطروحا والى الابد هو لماذا يجهز الانسان على اخيه الانسان في مشاهد يشوبها انبعاث شلالات الدم بلونها الارجواني؟.

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
مصطفى التميمي

التصحيح اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

إيزابيل الليندي وحصيلة أيامنا..

تأليف : إيزابيل الليندي
ترجمة: مصطفى ناصر

اذا نظر المرء إلى نوع الحياة التي عاشتها إيزابيل الليندي ، فمن السهولة عليه ان يخمن السبب الذي جعلها تصوغ كتابها الجديد (خلاصة أيامنا) بشكل ذكريات: هناك كم هائل من الشخصيات الوهمية والأحداث الدرامية المتشابكة التي تكفي لصياغة حبكات روايات كاملة. عند إحدى نهايات هذا الطيف المتنوع من الموضوعات نجد الإدمان على المخدرات ، المتاجرة بالأعضاء البشرية ، عمليات الاغتيال المدبرة والسحر والخرافة وتعاويذ العرافات ، وفي جانب آخر يبدو لنا مألوفا اكثر من سواه نرى عمليات السطو على البنوك ، نجد أحداثا سياسية ، نجاحات وإخفاقات في الحياة المهنية ؛

وعلى المستوى الإنساني هناك الشك في المعتقدات ، الموت ، فقدان الأحبة ، الحب ، الولادة ، التخصيب الصناعي ، الإيمانِ الراسخ في النفوس ، الأوهام والخيالات .. وعروساً جاهزة تحت الطلب ـ كل هذا وذاك لا يكاد يشكل حتى نصف الحكاية التي تسردها الليندي في كتابها.

طوال الكتاب كله الذي يتغلغل في كل ناحية من نواحي حياة الليندي يطفو شبح ابنتها باولا التي اختطفتها يد المنية. في واقع الأمر يبدأ هذا الكتاب تماما من النقطة التي انتهى عندها آخر كتاب سيرة ذاتية كتبته ، بالذات مع موت باولا في ١٩٩٢ بسبب تعقيدات مأساوية رافقت مرضاً وراثياً نادراً يسمى الفرفرين. من خلال حوارات متخيلة مع باولا، ومع وجود باولا دوما في الذهن ، تتعرض الليندي إلى سرد مفصل لتجاربها وعلاقاتها مع مجموعة من الأصدقاء ، انها علاقات كانت تتسم بنوع من المودة والألفة حينا وبالغرابة أحيانا لكنها تأتي مغلفة بالمحبة. في كل سطر وكل صفحة ، تكشف لنا الليندي شيئا من الحكمة عن طبيعة البشر ، بكل انفعالاتها ، انحرافاتها ، تقلباتها.

يشكل هذا الكتاب إلى حد ما مشهدا بانورامياً طويلاً من ٣٠٠ صفحة مؤلفاً من الإزاحات العاطفية ، تتخلله أطياف مبهرة وصور إبداعية فذة وأسلوب يتصف بالجزالة الأدبية والدقة والأناقة في التعبير. ليس ثمة من سبيل يمكن للمتتبع لكتابات الليندي ان يتوقع منها ان تكتب بعقلانية وتأن ومنطقية عملا قصصيا بعد موت طفلتها ، في الوقت الذي بدا فيه لبعض النقاد ان حياتها في الواقع قد اكتسبت قدرا كبيرا من الدراماتيكية تصلح لتناولها في رواية. لقد عاشت إيزابيل الليندي تلك التجربة المريرة ، ذلك الكابوس الذي ترتعب من مجرد التفكير فيه أي أم ، وليس بوسع أي قارئ ايضا اذا ما اقترب بشكل كاف من كتاب (خلاصة أيامنا) ان يتوقع منها العثور بسهولة على قرار بشأن ذلك الفراغ الهائل المفجع الذي داهم حياتها على حين غرّة ، فراغ كأنه وحش يكشر عن أنيابه المقيتة مستعداً لالتهام كل شيء يقف أمامه.

يبدو الأمر كما لو ان الكاتبة ، من خلال جذب انتباهنا بتعمد إلى اتجاهات مختلفة في بعض الأحيان تريد ان تشتت وقع المأساة ، وأحيانا اخرى تبذل محاولة يائسة للنهوض على بقايا الأحزان ، انها تحاول مرارا التفكير بكل بساطة ان تمارس بخدعة كبيرة وان تستمر ولو بخطوات متعثرة في مزاولة طقوس حياتها العائلية ، بحيث نتمكن نحن ايضا مثلها تماما ، وربما على نحو غير واع من إبعاد شبح باولا عن أنظارنا، لكن بالنسبة إلى كثير من النقاد الذين ابدوا رأيهم في هذا الشأن ، مهما حاولت الليندي ان تسلط نظرة كليلة إلى خارج إطار الصورة التي بللتها دموعها ، ان تتطلع إلى الناس والأحداث التي تحيط بها ، فهي لم تستطع مطلقا إطفاء الجمرة المتقدة المستقرة في فؤادها الدامي ، ولهذا السبب بالذات لا بد ان يحس قارئ كتابها هذا أنه يجد نفسه مجبراً لان يحب الاقتراب من عالمها اكثر فأكثر.

هذا لا يعني القول ابدا بأن الليندي ضمن مضمار حياتها العائلية ، مثلما تصرح هي ، قد تخلت عن دورها الذي تمارسه الأمهات القلوب الكبيرة بمكابرة ، خاصة مع ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها. انها ترفض ان تشعر الناس كم هي إنسانة ضعيفة من الداخل ـ مثلما تعترف بذلك في منتصف الكتاب تقريبا، عندما تتحول رغبتها بان تحظى بمساعدة الغير إلى تدخل في كل صغيرة وكبيرة من جزئيات حياة عائلتها الكبيرة. كان لديها الكثير مما يشغل بالها ، هناك زوجة مستقبلية لابنها تضطر لان تلعب دورها في مشاهد هذه المسرحية التي تعج بالممثلين المشاغبين. كان وصف الليندي لمحاولاتها المكيافيلية للانشغال بالضيف الوافد حديثا على العائلة يبدو صادقا وصريحا بشكل رائع ـ مقارنة بنزعاتها لفرض إرادتها على الجميع ومعرفة بالذات تحسد عليها. هذا هو السبب في أننا على ثقة بانها لن تشعر بالإساءة كثيرا حينما نقول ان ثمة أوقات يكاد فيها هذا الكتاب يبدو كأنه محتجز في مصعد مع احد الأشخاص ، في الوقت الذي يكون فيه محبوبا وجديرا بالإعجاب ، فليس فيه صمام يحدد أين يمكنه ان لا يسكت عن الكلام المباح ـ ولا يتقن ايضاً معرفة حدود التفاعل مع البشر.

يتدفق السرد في الكتاب بشكل مثير للاستغراب في سيل متلاحق من الأحداث التي تنهمر كأنها طلقات نارية من بندقية رشاشة ، فهو يتكشف لنا بسرعة جنونية: يبدو في الواقع كما لو انه لا توجد هناك لحظة من التأني لالتقاط الأنفاس في منزل الليندي. انها تقدم وصفا لتفاصيل عن القبيلة التي تنتمي اليها ، وحشد كبير من الأبناء ، الأحفاد ، العشاق ، الأصدقاء والآباء والأمهات ، وهي التي تقف على رأس الجميع ، يشكلون بحد ذاتهم قوة لا يستهان بها. مقارنة مع نموذج العائلة المعروف في شمال أوروبا مثلا بأجوائها الثلجية الباردة ، فالعائلة الكبيرة التي تسرد تفاصيل حياتها الدقيقة تلقى تعاطفاً وترحابا وتشيع الدفء في نفوسنا وتشعرنا بصدق الحب ، حيث يقتسم الجميع الإحساس بطعم السعادة ومرارة الأحزان ـ الجميع يغطيهم نسيج من خيوط التآلف والحنان في زركشة تكاد تكون خارقة للطبيعة. حينما ينتهي الأمر مثلا بإحدى حفيداتها ، وهي ايضا تحمل الأعراض نفسها للمرض الذي أودى بحياة باولا ، إلى المستشفى تلقي الممرضة التي تنهمك بإعطائها إبرة في ذراعها نظرة استغراب إلى الحشد المتجمع لقبيلة الليندي وتقول: "أرجوكم ، ان تكفوا عن هذه التراتيل". إلى جانب الإحساس بفقدان إنسان عزيز ، يشكل الحبِ الفكرِ المهيمنة الأخرى في هذا الكتاب. فهو يكون حافزا ضمنيا طاغيا يدفع إلى الاستمرار في الحياة ، الحب هو النموذج المقدس ، وكل شيء تقريبا مسموح ان يقترف باسمه. هذا الاعتقاد هو الذي يمكن الليندي من تحمّل نزوات ابنها وعلاقاته الغرامية التي تدمر حياته ، هو الذي يجعلها تقدم العون بلا شروط إلى أولئك المقربين من قلبها. حينما يتصور المرء انه قد عرف كل شيء تقريبا عن حياة ايزابيل الليندي ، لا بد ان يستنتج ان ليس ثمة شيء يمكن ان يتفوق في قيمته على جوهر موهبتها في الكتابة. سيعرف كل من يقرأ كتابها ان لدى هذه الكاتبة قدرة رائعة لان تجعل حتى اكثر الموضوعات تفاهة أو خمول ذكر تكتسب حيوية ، تجعلها تتنفس بعمق وتتراقص من خلال سلاسة نثرها كأنها تمارس ألعابا بهلوانية ؛ لو ان الكتب يمكن ان تتحول يوما إلى بشر من لحم ودم ، فان طفلتها المحبوبة ستبعث إلى الحياة ثانية وهي تختال بثياب العافية.